من أعماق الصلاة

الكتاب:	من أعماق الصلاة
الكاتب:	الإمام الخامنئي دام ظله
تعريب وإصدار:	جمعيّة المعراج لإقامة الصلاة.
طبعة مزيدة ومنقّحة شهر ذو القعدة ١٤٣٤هـ - تشرين الأول ٢٠١٣	

من أعماق الصلاة

الإمام الخامنئي دام ظله

جمعيّة المعراج لإقامة الصلاة

طبعة مزيدة ومنقّحة ٢٠١٣

مقدّمة الجمعيّة

خلق الله عزّوجلّ الإنسان وشرع له سبيل الكمال، وأضاء له الصراط بمصابيح لذكره، وأجلى مصداق لمصابيح الذكر هو إقامة الصلاة، قال تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾، فالإنسان السالك في هذه الدار الدنيا قد يغفل عن مبدئه ومعاده فيتجاوز ويظلم ويشتغل بما لا ينبغي له، فيكون حاجزاً عن التوجّه إلى خالقه الغنيّ المطلق، وبالتالي الوصول إلى كماله. فعبادة الصلاة هي الذكر الأكمل الرافع للغفلة المحقّق للتوجّه إليه سبحانه وتعالى.

لكنّ فاعليّة هذه العبادة مرتبطة بأدائها بحضور القلب، والطريق لتحقيق ذلك هو فهم معاني الصلاة وترسيخها في العقل والقلب لتنعكس سلوكاً في الحياة.

وقد دأب علماؤنا الأعلام على تأليف مصنّفات وكتب لبيان معاني الصلاة وحقائقها، لكن قد يصعب على الكثير إدراك معانيها بالنحو التامّ.

لذا، كان هذا الكتاب خطّته الأنامل المباركة لسماحة الإمام الخامنئي دام ظله، حيث يتميّز بالشّرح السّلس والمبسّط لأجزاء

الصلاة من أفعال وأقوال، كما يحمل هذا الكتاب بين طيّاته معاني دقيقة وعميقة، تبيّن الأبعاد الحقيقيّة لماهيّة الصلاة والغرض من إقامتها على مستوى الفرد والمجتمع.

وإذ يختصّ هذا الكتاب بالأسلوب الفريد الذي اتبعه سماحته دام ظله في تقديم معاني أذكار الصلاة وأفعالها لم نعثر على نظيره في أي كتاب يتناول موضوع الصلاة. وقد صدر بعدة طبعات (أكثر من ٢٧ طبعة باللغة الفارسيّة) في إيران، وقامت جمعيّة المعراج بترجمته وتحريره ليظهر بهذه الحلّة الجديدة.

ملاحظة: تمّ وضع ملحق في نهاية الكتاب نظراً للأهميّة البارزة لكلمات القائد ورسائله إلى مؤتمرات الصّلاة التي تقام بشكل دوريّ، حيث تضمّنت الكثير من المعاني والوصايا اللّافتة.

مقدِّمة المؤلّف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

(الأعراف، ١٧٠)

الصلاة والمناجاة هي الارتباط القلبيّ الصادق بين الإنسان والربّ، بين المخلوق والخالق. الصلاة هي سلوى القلوب المضطربة والمتعبة والمغمومة، والمطمئنة لها، وأساسٌ لصفاء الباطن وجلاء الروح. وهي الميثاق والباعث على التحرّك والاستعداد والتعبئة، في حال من الصفاء والصدق، بعيداً عن التلوّن والخداع، للتخلّص من كلّ ما هو سيّئ وقبيح وتحصيل كلّ ما هو صالح وجميل.

وهي برنامج لمعرفة النفس، ومن ثَمّ صناعتها وتهذيبها.

وبكلمة موجزة: هي استفاضة ورابطة دائمة مع منبع كلّ الخيرات وموجدها، أي الله تعالى.

لماذا عدَّت الصلاة أفضل وأهمّ من جميع الواجبات؟

لماذا اعتبرت أساس الدين وعموده؟

لماذا لا تقبل سائر الأعمال من دونها؟

ما هو الشيء الاستثنائيّ الكامن فيها؟

بوسعنا ملاحظة الصلاة من أبعاد مختلفة:

في البداية: لا بدّ من الإشارة، ولو قليلاً، إلى الهدف من خلق الإنسان، الذي يُعدّ من الخطوط الأساسية في الرؤية الكونيّة للإسلام. فكون الإنسان مخلوقاً والاعتقاد بأنّ هناك قدرة حكيمة أوجدته، يستلزم أن يكون لخلقه وإيجاده هدف ومقصد.

يمكن أن نعدّ هذا الهدف بأنه **«سلوك طريق للوصول إلى محطّة»**، المسير في طريق بناءً لمخطّط دقيق وبوسائل محدّدة للوصول - في النهاية - إلى تلك المحطّة وذلك المنزل، وفي هذه الصورة لا بدّ لنا من معرفة الطريق المنتهي إلى تلك الغاية، وتحديد المسير وجعل الهدف دوماً نصب أعيننا، لنتمكن من بلوغ تلك النتيجة المنشودة. إنّ الذي يضع قدمه على الطريق، عليه أن يتحرّك بنحو مستقيم، ملتفتاً دائماً إلى الهدف، لا تشغله الطرق المنحرفة والتحرّكات العبثيّة. ولأجل الاستمرار في الحركة والحفاظ على الاتجاه الصحيح، عليه أن لا يعصي أوامر القائد والمرشد (الرسول) الذي عُيّن له.

وذلك الهدف هو رفعة الإنسان وتكامله اللّامتناهي، والعودة

إلى اللّه، وظهور الخصال الحسنة فيه، وطاقاته وقابليّاته النهائيّة، وتوظيفها بأجمعها في طريق الخير وإصلاح النفس والعالم والناس.

على الإنسان، إذاً، أن يعرف اللّه، وأن يسلك الطريق الذي حدّده اللّه لتساميه، بدون أي تردّد أو تباطؤ أو ضعف.

إنّ القيام بالأعمال التي تقرّبه من هدفه، واجتناب الأعمال العبثيّة والباطلة أو المضرّة هو ما يعطي لحياة الإنسان معنىً [وقيمة] ويقوده إلى الطريق الذي يعدّ المسير فيه بمثابة فلسفة وجوده، وفي غير هذه الحالة لا معنى للحياة ولا نتيجة لها.

وبعبارة أخرى: إنّ الحياة مدرسة ومختبر لا بدّ أن نطبّق فيها جميع القوانين والقواعد والسُّنن التي أوجدها خالق العالم والحياة، للوصول إلى نتيجة عالية ومرضية. هذه القوانين التي هي سُنن اللّه وقوانين الخلق، يجب معرفتها وصياغة حياتنا وفقاً لها، ولا بدّ أيضاً من معرفة النفس واستكشاف ذخائرها واحتياجاتها. هذا هو تكليف الإنسان وواجبه العظيم. هذا التكليف الذي بمجرد أدائه يكون الإنسان قادراً على التحرّك الواعي والناجح. وبدونه، فهو إمّا عديم الحركة [خامل] أو متحرّك بدون وعي ، وقهراً، لن يحالفه التوفيق.

والدين الذي يحدّد الهدف والاتجاه والطريق والوسيلة، يمنح الإنسان أيضاً القدرة والزاد الضروريّ لقطع الطريق. وإنّ أهمّ زاد يحمله سالكو هذا الطريق في متاعهم هو ذكر اللّه، وإنّ روحيّة الطلب والرجاء والاطمئنان - وهي الأجنحة المقتدرة في هذا

التحليق- إنّما تتفرّع وتتولّد من ذكر الله.

فذكر الله من جهة، يجعل الهدف وهو الاتصال به تعالى -أي بالكمال اللّامتناهي والخير المطلق- نصب العين دوماً، ويَحوْل دون فقدان الاتجاه، ويجعل السالك حسّاساً وحذراً إزاء الطريق والوسيلة؛ ومن جهة أخرى، يمنحه قوّة القلب والاطمئنان والنشاط، ويحفظه من الانزلاق والانخداع بالمظاهر الخلاّبة، أو الخوف من المكروهات و المنغّصات.

إنّ المجتمع الإسلاميّ وكلّ مجموعة مسلمة أو فرد مسلم، يمكنه أن يخطوفي الطريق الذي حدده الإسلام ودعا إليه جميع الأنبياء، باستقامة ودون توقّف أو تراجع إذا لم ينس الله. ومن هنا، يسعى الدين إلى إحياء ذكر الله في قلوب المتديّنين بشكل دائم بطرق ووسائل مختلفة.

ومن الأعمال المفعمة بالدوافع لذكر الله، والتي يمكن أن تجعل الإنسان مستغرقاً بذكره تعالى وتكون موقظة له، وتكون شاخصاً وعلامة ترشد السائرين في طريق الله إلى الصراط المستقيم، وتحفظهم من الضياع والانحراف، وتمنع من وقوع لحظة الغفلة في حياة الإنسان، هي الصلاة.

في غمرة انشغالات الإنسان الذهنيّة، يندر أن يلتفت إلى نفسه، وإلى هدفه في الحياة، أو أن يفكّر بمضيّ اللّحظات والساعات والأيّام. وما أكثر الأيام التي تترك مكانها للّيل وللأيّام الأخرى التي تسرع من جديد! وما أكثر الأسابيع والأشهر التي تمضي دون

أن يلتفت الإنسان إلى بدايتها ونهايتها، ولا يشعر بمضيّ الحياة ومعناها أو فراغها!

الصلاة جرس منبّه، ومنذر في مختلف ساعات اللَّيل والنهار. فهي تزوّد الإنسان ببرنامجٍ وتطلب منه التزاماً، وتعطي لليله ولنهاره معنىً، وتُشعِره بقيمة الوقت. فالصلاة تدعوه عندما يكون منشغلاً وغير ملتفت إلى مضيّ الزمن وانقضاء العمر، فترشده إلى انقضاء يوم وشروع آخر، وأنّ عليه أن يجدّ ويتحمَّل مسؤوليّة أكبر وأن يفعل ما هو أهمّ. ولأنّه انقضى جزءٌ من العمر، من فرصة العمل، فينبغي أن يكون أكثر سعياً وعطاءً، فالهدف عظيمٌ، حتّى لا تذهب الفرص من اليد التي عثرت عليها.

ومن جهة أخرى:

إنّ نسيان الهدف تحت وطأة المشاغل الماديّة أمر واضح وطبيعيّ. إنّ إمكانيّة الوفاء بجميع الالتزامات الواقعة في طريق الهدف، والملقاة على عاتق الإنسان في كلّ يوم أمرٌ شبهُ مستحيلٍ، والاستماع لشخص هذه حرفته وعمله هو أيضا أكثر محالاً. إضافة إلى أنه لا يتوفّر أبداً الزمن الكافي لدراسة جميع متطلّبات هذه الرسالة وتعاليمها -الرسالة الإسلاميّة التي تصنع حياة الإنسان وسعادته - في الليل والنهار، وهكذا فرصة لا تتوفّر للإنسان.

الصلاة عصارة وخلاصة أصول هذا الدين. وهي مظهر الإسلام في أذكارها وأفعالها المنظّمة بعناية.

بوسعنا تشبيه الصلاة بالنشيد الوطنيّ للدول، مع فارق في المعنى والتوجّهات، فلأجل أن ترسّخ الدولة أصولها ومبانيها الفكريّة في ذهن الشعب، وتجعله يَنشأ على هذا النمط الفكريّ، تطلب تكرار قراءة النشيد الوطنيّ [في المناسبات والمحطّات والاحتفالات] الذي يمثّل خلاصة الشكل المقبول لنمط الحياة في هذه الدولة وأهدافها وعقيدتها. وإنّ تكرار النشيد الوطنيّ سببٌ لتثبيت الناس على هذا النحو من الفكر، وتلقينهم: أنّهم أتباع هذا الوطن والسائرون نحو تلك الأهداف؛ فنسيان أصول الدولة وأهدافها معناه تغيير مسار أتباعها وعدم كونهم من تابعيّتها. وهذا التكرار يجعلهم مستعدّين للخدمة في هذه الجبهة، ويعلّمهم المخطّطات والسبل، ويرشدهم إلى المسؤوليات والواجبات ويحيي في أذهانهم أسس الدولة، ويعيّن لهم الوظيفة، ويزوّدهم -حينها- بالشجاعة والجرأة والإقدام، ويهيّئهم للعمل.

الصلاة خلاصة أصول العقيدة الإسلاميّة، والمنيرة لطريق المسلمين، والمرشدة إلى المسؤوليّات والتكاليف والطرق والنتائج.

الصلاة تستدعي المسلمين مع بداية النهار، وعند انتصافه، ومع الليل، وتعلّمهم بلسانها أسس العقيدة والطريق والهدف والنتيجة وتدفعهم إلى العمل بقوى معنويّة؛ هذه هي الصلاة، التي تأخذ بيد الإنسان وتقرّبه خطوة خطوة ودرجة درجة لتصل به إلى قمّة الإيمان، والعمل الكامل، وتجعل منه عنصراً ذا قيمة ومسلماً

سويّاً. نعم، «**الصلاة هي معراج المؤمن**»[1].

إنّ أمام الإنسان طريقاً طويلاً وشاقّاً يؤدّي به إلى الفوز والسعادة الواقعيّة، ويوصله إلى ذلك الهدف الذي وُجد من أجله. ولكن هذا الطريق ليس هو الوحيد الذي وُضع أمام البشر. فقد وُضعت في مسيره الأصليّ الكثير من الطرق الملتوية والمنحرفة والخطرة، وأحياناً تكون هذه الطرق مغرية وخدّاعة بحيث توقع المسافر وسالك الطريق الأصيل في التردّد والاشتباه.

إنّ من لوازم التخلّص من مثل هذه الشكوك، الحفاظ على الجهة الصحيحة والتوجّه المستمرّ نحو الهدف والمقصد النّهائيّ، أي نحو الله، وامتلاك خطّة واضحة مرسومة للطريق والمسير. فالصلاة، ليست سوى التوجّه الدائم إلى الله، وهي أيضاً المشروع والخارطة الإجماليّة للطريق الأساسيّ، لأنّها الضامن لارتباط المؤمن الدائم واتصاله بالله وبخلاصة الفكر الإسلاميّ المندرج في طيّات مقولات الصلاة وكلماتها.

وبذلك، تتّضح علّة توزيع الصلاة على الأوقات الخمسة ومدى أهميّتها، كتوزيع وجبات الطعام على أوقات الليل والنهار المختلفة.

إضافة إلى أنّ الصلاة تكتنف في ذاتها خلاصة أهداف الإسلام وغاياته، وأنّ تلاوة القرآن أيضاً - التي هي من الأعمال الواجبة في

(١) الصلاة معراج المؤمن. حديث نبوي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص٣٠٣.

الصلاة - تعرّف المصلّي على مضامين قسم من القرآن وتعوّده على التفكّر في مفاهيم القرآن والارتباط الفكريّ به[1]، هي في الأصل- أي الصلاة - بمجموع الحركات التي فيها، تعدّ مظهراً ومثالاً للإسلام، في صورة مصغرة.

الإسلام في عمق المجتمع، هو محرّك أجساد الناس وأفكارهم وأرواحهم. ومن خلال هذه الأمور الثلاثة، يقودهم إلى السعادة.

الجسد: بحركات اليدين والرجلين واللسان والانحناء والجلوس والسجود.

الفكر: بالتفكّر في مضامين ألفاظ الصلاة، الذي يشير عموماً إلى الأهداف والوسائل، ومراجعة مرحلة من التأمّل والتفهيم والعلم والمعرفة الإسلاميّة، بشكل مجمل.

الروح: بذكر الله والتحليق في جوّ من المعنويّات الروحيّة، ومنع القلب من التشتّت والفراغ، وغرس بذار الخشوع وخشية الله في الروح.

قالوا: إنّ الصلاة في كلّ دين هي خلاصة ذلك الدين، وصلاة الإسلام هي كذلك تماماً. فالجمع بين الروح والجسم، بين المادّة والمعنى، بين الدنيا والآخرة - سواءً في اللّفظ أو في المحتوى أو

(١) إنّما أمر الناس بالصلاة وأن يقرأوا بالقرآن فيها لئلا يكون القرآن مهجوراً مضيّعاً، وليكون مدروساً فلا يضمحل ولا يجهل، (حديث الفضل بن شاذان عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ج٦، ص٣٨).

في الحركات – هو من خصوصيّات الصلاة الإسلاميّة.

كذلك المسلم في الصلاة، عندما يقيمها بشكل كامل، فإنّه يفعّل جميع طاقاته في طريق تكامله، أي أنّه يستعمل، في آن واحد، جميع إمكانيّاتها الجسميّة والفكريّة والروحيّة.

إنّ مقيم الصلاة، مثلما أنه يوظّف جميع قواه سالكاً طريق الله، يميت جميع بواعث الشرّ والفساد والانحطاط في ذاته. وعُدَّت إقامة الصلاة في آيات عديدة من القرآن، من علامات التديّن. وفي آيات كثيرة، هناك اعتماد خاصّ على إقامة الصلاة.

يظهر أنّ إقامة الصلاة شيءٌ أبعدُ من مجرّد أدائها، أي أنّها ليست فقط أن يقوم الشخص بأداء الصلاة، بل هي أيضاً السير في الجهة والاتجاه (نحو الشيء) الذي تدعو إليه الصلاة، وبعث الآخرين نحوه. فكأنّ إقامة الصلاة، أن يجعل الإنسان، بالسعي المطلوب، فضاءَ حياته وحياة من حوله فضاءَ المصلّين الباحثين عن الله وعبادته ويحيا الجميع في خطّ الصلاة وجهتها.

فالمؤمن، إذاً، أو الأمّة المؤمنة بإقامتها للصلاة تحرق جذور الفساد والمعاصي والرذيلة في النفس وفي المحيط الاجتماعيّ، وتميت روحيّة الذنب والنزوع إلى ارتكاب المعاصي وبواعثها الداخليّة والخارجيّة (أي العوامل النفسيّة والبيئيّة)، حقّاً إنّ الصلاة تردع الفرد والمجتمع عن ممارسة الأعمال الطالحة

والقبيحة: «إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»[1].

في ساحة النزاع وصراع الحياة، هناك حيث استعدّت جميع قوى الشرّ بجميع ما لديها من مكائد، لكي تعدم بواعث الخير والإحسان في كلّ مكان وفي كلّ شخص، فإنّ أوّل سدّ يقومُ بصدّ الهجوم وتدميره هو قوّة العزم وقوّة النفس لدى الإنسان؛ فعند تحطيم هذا الواقي المنيع يسهل احتلال قلعة شخصيّة الإنسان ونهب كنوزها التي فيها أصالة الإنسان الذاتيّة ومُدّخراته من القيم والمعارف والعلوم. وأولئك الذين يحملون رسالة جديدة ومخطّطات بديعة للزمان وللتاريخ، هم أكثر من غيرهم، عرضة لهجوم قوى الشرّ، وهم بحاجة أكثر من غيرهم إلى حفظ هذا الحصن الفولاذي، حصن العزم والإرادة التي لا تقهر.

إنّ صلاة الإسلام، بما فيها من تلقين وتكرار لذكر الله، تربط الإنسان الضعيف والمقيَّد بالله المطلق المسيطر، وتجعله مستعيناً به. وعن طريق ربط الإنسان بمدبِّر العالم، تصنع منه قدرةً غير محدودةٍ لا تقبل الزوال، ويجب عدّها أفضلَ علاجٍ لضعف الإنسان، وأنفعَ دواءٍ للعزم والإرادة.

إنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي كان في طور النهضة العظيمة للإسلام، في مواجهة الجاهليّة المستشرية، يتحسّس ثقل

(١) العنكبوت، ٤٥.

المسؤولية كالجبال الثقال، قد أُمر بالصلاة في منتصف الليل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾.[1]

ندخل الآن في بيان محتوى الصلاة، ودون الذَّهاب بعيداً في مجال الشرح الموسَّع، نسعى للاقتراب من هدف الصلاة من الناحية التعليميّة.

تبدأ الصلاة باسم الله، وذكر عظمته وسعة ذاته، وأنّها أسمى من كلّ ما يتصوّره الإنسان.

الله أكبر

يفتتح المصلي مناجاته بهذه الجملة، ولأجل عمل عظيم، يصنع بدايةً تفيضُ بالعظمة.

-الله أكبر- أكبر من أن يوصف، أكبر من أن يقاس بالأرباب المتخذّة على مرّ العصور، أكبر من جميع القوى والمظاهر التي يمكن أن يخشاها الإنسان أو يطمع فيها، وأكبر من أن يتمكّن شخص من نقضِ قوانينه وسننه التكوينيّة.

إذا أدرك العبد هذه السنن، واختار في ضوئها طريق سعيه وجِدّه، فإنّه بذكر «**الله أكبر**» ينال قوّةً عظيمةً ويجد أملاً فائضاً. فهو يشعر بقوّة أنّ سعيه موفّقٌ وناجحٌ وعاقبةَ أمره إلى خير، وسوف

(١) سورة المزمل، الآيات:١- ٥.

ينظر إلى مستقبله وطريقه بالتفاؤل والأمل.

إذاً، بعد أن يتلفّظ المصلّي بهذه الجملة يكون عمليّاً في حالة صلاة، وعليه أن يقرأ سورة الحمد ثمّ سورة كاملة من القرآن وهو في حال الوقوف.

الفصل الأوّل

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

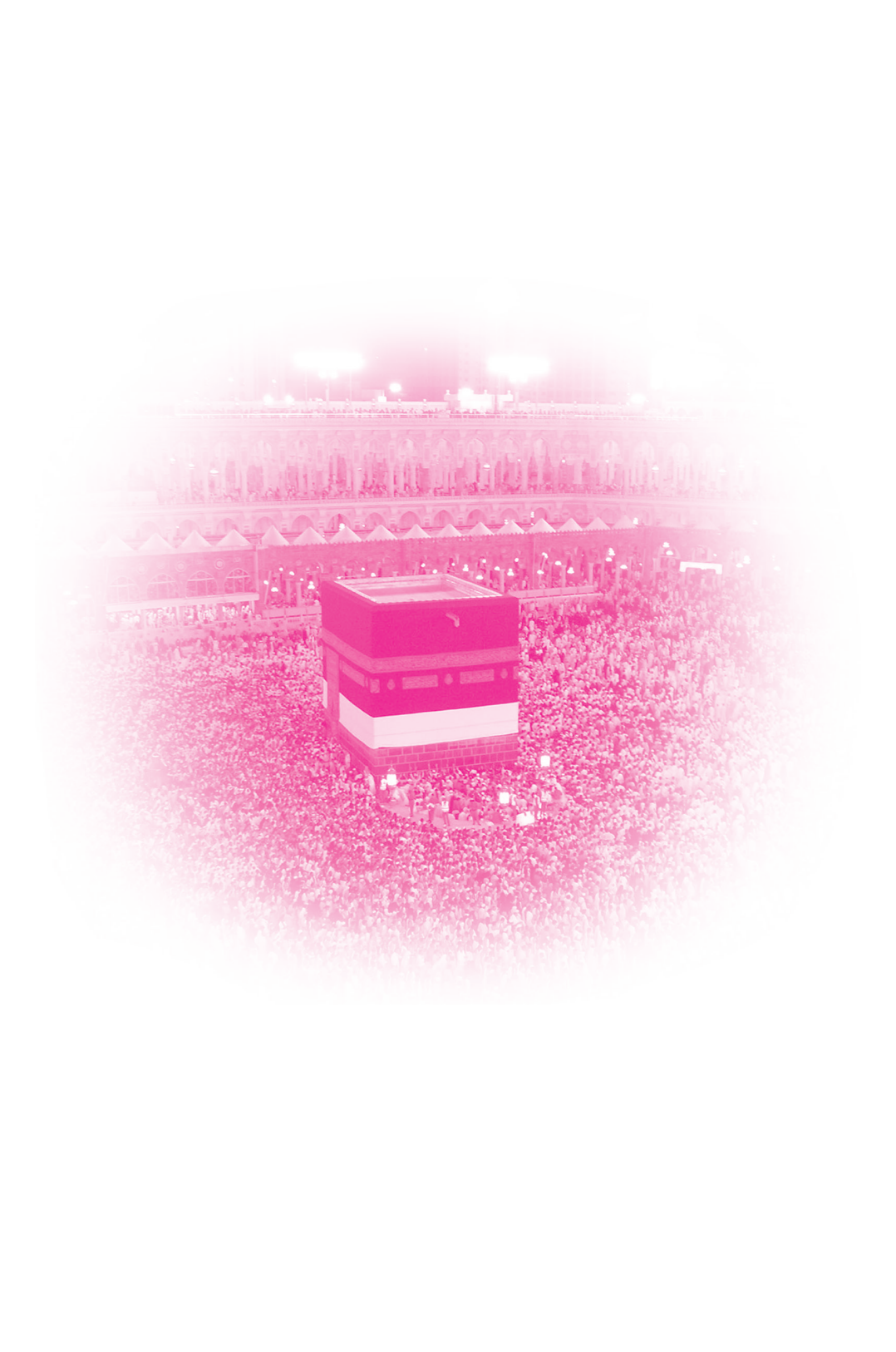

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

هذه الجملة، [البسملة]، هي مقدّمة جميع السور، مقدّمة الصلاة، مقدّمة جميع أعمال الإنسان المسلم وحركاته، أي إنّ بداية جميع الأعمال تتمّ باسم الله فقط.

كلّ ما للإنسان، وجميع مظاهر عيشه وحياته هي باسم الله. يفتتح المسلمون أيّامهم باسم الله، وباسمه يختتمون أعمالهم في النهار، وبذكره يأوون إلى فراشهم، وبعونه يرفعون رؤوسهم منه ليباشروا أعمالهم اليوميّة من جديد. وفي نهاية المطاف يودّع المسلم الحياة باسمه وذكره ويمضي إلى الدار الخالدة.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

كلّ حمد وثناء يختصّ بالله، لأنّ كلّ عظمة وجلال منه، وكلّ رحمة تصدر عن جانبه، وهو مَجمَع كلّ الخصال الحميدة، ومن فيضِ وجوده تصدُرُ كلّ الخيرات والحسنات وكلُّ جميل وإحسان؛ فيكون حمده، إذاً، حمداً للإحسان والمعروف، وموجّهاً لجمع الجهود التي تبذل في طريق الإحسان.

وكلّ من يرى في نفسه شيئاً من الخصال المحمودة والسِّيَرِ الحسنة، ينبغي أن يعدّها من فيض الله ورحمته وعطفه ولطفه، إذ إنّ الله هو الذي زرع في الإنسان بذور الإحسان، وأعدّ فطرته وطينته وجعل من سجاياه تقبّل الإحسان والفضيلة، ومنحه قوّة الإرادة والعزم، التي هي وسيلة أخرى في طريق الخير والإحسان.

هذه الرؤية تغلق بوجه الإنسان أبواب العجب والغرور، وتحول دون تعطيل أو إفساد الخصال الحميدة، والقدرات الخيّرة فيه.

وفي جملة ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يستشعر [المصلّي] وجود العالم والعوالم الأخرى ، ويستشعر أيضا قربها واتّصالها بعضها ببعض، فيدرك المصلّي أنّ هناك عوالمَ وأفلاكاً ومجرّاتٍ أخرى، خلف هذا العالم ووراء رؤيته الضيّقة، وخلف هذا السّور الذي افترضه لحياته، وأنّ ربّه ربّ جميع هذه الكائنات العظيمة. إن هذا الشعور يميت فيه النّظرة الضّيقة، والدناءة والخِسّة، ويمنحه الجرأة وروح البحث والسعي، والإحساس بالغبطة لعبوديّته لله تعالى، وتتجلّى له في عبادة الله عظمة وجلال عجيبان.

من جهة أخرى، يرى أنّ جميع الكائنات، البشر والحيوانات والنباتات والجمادات والسماوات، وعوالم الوجود التي لا تحصى، كلّها مملوكةٌ لله ومربوبةٌ له، وأنه هو مديرها ومدبّرها وخالقها جميعاً. ويفهم أنّ ربّه ليس ربّاً لعِرقِه أو شعبه أو ربّ الناس وحسب، بل هو أيضاً ربّ تلك النملة الضئيلة وتلك النبتة الضعيفة، ربّ

السماوات والمجرّات والكواكب، وبإدراكه لهذه الحقيقة يشعر بأنّه ليس وحيداً، ويدرك أنّه قريبٌ من جميع ذرّات العوالم، وجميع الكائنات الدقيقة والكبيرة، وأنّه مُتّصلٌ بجميع الناس، وأنّ جميع الناس إخوته ومسافرون معه، وأنّ هذه القافلة العظيمة تسير معاً نحو هدف واحد وفي اتجاهٍ واحد.

وهذا الارتباط والاتصال يجعله مكلّفاً وملتزماً بالنسبة إلى جميع الكائنات. مكلّفاً بإرشاد الناس ومساعدتهم، ومكلّفاً بمعرفة بقيّة الموجودات واستخدامها في الطريق الصحيح المتناسب مع الهدف من خلقها.

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾

رحمة الله العامّة- الّتي تتجلّى بشكل قوى خلّاقة وسنن وقوانين مُنقِذة و طاقة مستدامة- تسع جميع الموجودات، وكلّ شيء وكلّ شخص يحظى بهذه الرحمة إلى حين موته وزواله (الرحمان).

وأمّا من جهة رحمته الخاصّة، رحمة هدايته ومعونته، رحمة جزائه وعطفه، فإنّها تشمل عباده الصالحين. وهذه الرحمة تستمرّ معهم في هذه النشأة وتبقى كخطٍّ واضح على امتداد وجود هذه الموجودات الصالحة والشريفة حتّى الموت، وما بعد الموت، إلى القيامة، وإلى المنزل النهائيّ لوجود الإنسان. فالله تعالى هو المنعم

بالرحمة العامّة والمؤقّتة، والمنّان بالرحمة الخاصّة والدائمة.

إنّ ذكر صفة رحمة الله في ديباجة القرآن [فاتحة الكتاب] وفي بداية الصلاة وبداية كلّ سورة لهي إشارة إلى أنّ محبّة الله ورأفته أظهر صفة في ساحة الخليقة والوجود، وعلى عكس قهره ونقمته التي تختصّ بالمعاندين والمفسدين والمجرمين، فتكون رحمته شاملة واسعة وعامّة[1].

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

يوم الجزاء هو يوم النهاية والمصير والعاقبة، والجميع يسعى من أجل العاقبة. فالمادّي الملحد والعابد لله مشتركان في هذا الأمر، وكلاهما يبحث عن سبيل العاقبة والمصير، والاختلاف بينهما أنّ كلّاً منهما يفهم المصير بشكل مختلف؛ فعاقبة الماديّ هي ساعة أخرى ويوم آخر وسنة أو عدّة سنوات أخرى، شيخوخة وعناء وفناء؛ أمّا العابد، فنظرته واسعة ورؤيته أبعد من ذلك، وليست الدنيا في نظره مغلقة ولا محدودة ولا محصورة، بل الدنيا واسعة والمستقبل غير محدود، وهذا مستلزم لأمل لا حدّ له، وجهد لا يعرف الكلل.

فالذي لا يرى الموت موجباً لانقطاع الرجاء، ولا يفقد بالموت

(١) ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٥٦ يا من سبقت رحمته غضبه (دعاء مأثور).

حصيلة عمله وانتظار الأجر والثواب، يمكنه الاستمرار حتّى آخر لحظة من حياته بالحماس والتحرّك ذاته الذي ابتدأ به السعي الجميل والعمل المرضي لله.

إنّ التنبّه والاستذكار بأنّ الله هو المالك، وصاحب القرار والجزاء في يوم القيامة، هو الذي يوجّه المصلّي الوجهة الصحيحة، ويضفي على أعماله وجهوده سمة إلهيّة؛ فتصبح حياته بجميع مظاهرها لأجل الله وفي سبيله، ويبذل جميع جهوده وكلّ شيء عنده في طريق تكامل البشريّة وتساميها، الذي هو الطريق الوحيد لمرضاة الله تعالى. ومن جهة أخرى: يحرّره من الاعتماد على الظنون الواهية والآمال الكاذبة، ويقوّي فيه الرجاء الصادق في العمل. فإذا كانت المناهج المنحرفة والنظم الخاطئة في هذه الدنيا، تسمح للعناصر الضعيفة الانتهازيّة أن تحسّن أوضاعها عن طريق الخداع والرياء والكذب، وأن تغتصب ثمار كدّ الآخرين وكدحهم، إلّا أنّه في ذلك العالم [الآخرة] وتلك النشأة حيث إنّ الله العالم العادل مالك زمام الأمور جميعها، وحيث لا يمكن الخداع والكذب والرياء، فسوف لن يعطي أحداً فرصةَ الانتفاعِ من الأجر بدون عمل.

إلى هنا ينتهي الحديث عن النصف الأوّل من سورة الحمد المتضمّن لحمد خالق العوالم والعالمين، وذكر بعض أهمّ صفاته. أمّا النصف الثاني المشتمل على إظهار العبوديّة وطلب الهداية،

فإنّه يشير بوضوح إلى مجموعة من أهمّ الخطوط الأساسيّة لأيديولوجيّة الإسلام.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ

أي أنّ كلّ وجودنا وكلّ قدراتنا الجسديّة والروحيّة والفكريّة بتمامها هي بيد الله وهي خاضعة له ولأجله.

والمصلّي بتلفّظه بهذه الجملة يحرّر يديه ورجليه ورقبته من أغلال عبوديّة ما سوى الله، ويرفض مدّعي الألوهيّة والربوبيّة الذين كانوا على مرّ التاريخ السبب في تقسيم المجتمعات البشريّة إلى طبقات متفاوتة، وجعل أكثريّة البشر مقيّدين بأغلال العبوديّة والاستضعاف ويخرج نفسه وجميع المؤمنين بالله من حدّ الطّاعة والانقياد لأيّ شخص سوى الله وأيّ نظام غير النظام الإلهيّ. والخلاصة، أنّه بإقراره بعبوديّة الله يتحرّر من عبوديّة العبيد، وبهذه الطريق يجعل نفسه في سلك الموحّدين الحقيقيّين.

إنّ الإذعان والقبول بأنّ العبوديّة ينبغي أن تكون حصراً أمام الله ولأجله هو أحد أهمّ الأصول الفكريّة والعمليّة في الإسلام وفي جميع الأديان السماويّة، والذي يعبّر عنه بـ **«انحصار الألوهيّة بالله»** أي أنّ الله فقط هو الذي ينبغي أن يكون إلهاً (معبوداً)، وأن لا يكون هناك عبوديّة لغيره ولا يُعبد سواه.

وقد كان هناك، على الدوام، أناسٌ لا يحسنون فهم هذه الحقيقة، فكانوا يستنتجون منها أموراً خاطئة وضيّقة، لذلك ابتلوا على حين غفلة بعبوديّة غير الله. فقد ظنّوا أنّ عبادة الله هي بتقديسه ومناجاته وحسب، ولأنّهم كانوا يصلّون لله ويناجونه فقط، كانوا على اطمئنان بأنّهم لم يعبدوا سوى الله.

إنّ الإطّلاع على المعاني الواسعة للعبوديّة في عبارات القرآن والحديث يُظهِر وَهْنَ هذا التصوّر. فالعبادة، في اصطلاح القرآن والحديث، هي الطاعة والتسليم والانقياد المطلق للأمر، والقانون والنظام الذي يُعرض على الإنسان ويُفرض عليه من أي سلطة أو قوّة، سواء أكان هذا الانقياد وهذه الطاعة مع روح التقديس والمناجاة أم من دونهما.

وعليه، فكلّ الذين ينصاعون- طوعاً ورضا - للنظم والقوانين والأوامر الصادرة عن أيّة قدرة غير الله تعالى، هم عبيد تلك الأنظمة وعبيد الواضعين لها. ولو أنّهم، وهم على تلك الحال، خضعوا في جانب من حياتهم للأوامر الإلهيّة، وعملوا في جزء وحيّز من حياتهم الفرديّة والاجتماعيّة بحكم الله وقانونه هم **«مشركون»** (يتّخذون مع الله إلهاً آخر). وأمّا إذا لم يجعلوا هذا الجانب وذلك النطاق من حياتهم لله تعالى فهم **«كافرون»** (الذين يتجاهلون الحقيقة الواضحة والساطعة لوجود الله، وينكرونها اعتقاداً أو عملاً).

يمكن بسهولة، من خلال الإطّلاع على هذه المعرفة الإسلاميّة، استنتاج مرام الأديان الإلهية التي جعلت كلمة «لا إله إلاّ الله» أولَ شعارٍ لدعوتها[1] ماذا كانت تقول، وماذا كانت تريد، ومن كانت تواجه ولأيّ طرف انحازت؟

وهذه الحقيقة (حقيقة معنى العبادة) في المصادر الإسلاميّة (القرآن والحديث) هي على مستوى من التواتر والوضوح، بحيث لا يبقى معه أي شكّ لدى المتدبّرين وأصحاب العقول. وكنموذج على ذلك، نكتفي بذكر آية من القرآن الكريم، وحديث عن الإمام الصادق عليه السلام.

قال تعالى:

﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ ﴾[2].

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ ﴾[3].

قال عليه السلام: «**أنتم هم ومن أطاع جبّاراً فقد عبده**»[4].

---

(١) يُرجع إلى سورة الأعراف، الآيات: ٥٩ـ ١٥٨، وسورة هود، الآيات: ٥٠ـ ٨٤، فقد نقل أنّ عدداً من الأنبياء العظام رفعوا هذا الشعار في مقدّمة دعوتهم.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٧.

(٤) تفسير نور الثقلين: ج٥/ ، ص ٤٨١. و الري شهري، ميزان الحكمة، ج٢.

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

لا ننتظر من أنـدادك ومن مدّعي الألوهيّة أيّـة مساعدة أو أيّة معونة؛ فبالسبب ذاته والحجّة نفسها التي دَفَعَتهم إلى عدم القبول بألوهيّة الله، لن يساعدوا عباده السّاعين في سبيله. إنّ طريق الله هو طريق أنبيائه، طريق السعي في جانب الحقّ والعدل والتآخي والتضامن والتكافل بين جميع أفـراد البشر، وإعطاء الإنسان قيمته، ورفض التعصّب والظلم وعدم المساواة [التمييز]. وأمّا أنداد الله ومدّعو الربوبيّة الذين جعلوا أساس حياتهم الذّليلة وإمكاناتهم التي سطوا عليها من أجل تدمير القيم الأصيلة، أنّى لهم مدّ يد العون والمساعدة لعباد الله؟ إنّ هؤلاء في حرب لا سلم فيها، وطغيان لا حدّ له في مواجهة عباد الله.

فإذاً، نطلب العون والمدد من الله فقط: قوّة الذكاء والإرادة التي أودعها فينا، الأسباب والوسائل التي منحنا إيّاها من أجل الحياة والعيش، السُّنن والقوانين الطبيعيّة والتاريخيّة، وهي التي لو عُرفت وكُشفت لأمكن أن تشقّ الطريق للعلم والعمل، وكلّ آثار قدرته التي هي جنوده المقتدرة الموضوعة في خدمة البشر.

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦

إذا كان الإنسان محتاجاً إلى شيء أولى وأكثرَ حياةً من الهداية، فلا شكّ أنّ هذه الحاجة كانت ستُذْكَر، بلسان الدعاء والطلب من الله، في سورة الحمد التي هي فاتحة القرآن والقِسْم المهمّ في الصلاة.

يُصبِح العقل والتجربة في المسار الصحيح والمفيد والمنجي عن طريق الهداية الإلهيّة، ودون ذلك، يغدو هذا العقل وهذه التجربة مصباحاً في يد قاطعِ طريقٍ أو سكّيناً في يد مجنون.

الصراط المستقيم، هو ذلك المنهج الفطريّ الذي وُضع على أساس التقدير الصحيح لاحتياجات الإنسان الطبيعيّة وإمكاناته وقدراته. هو الطريق الذي فتحه أنبياء الله للناس، وكانوا هم أوائل الساعين إليه والسالكين فيه؛ الطريق الذي إن ثَبُت الناس عليه يكون مَثَلُهم كالماء الذي يجري مستقيماً في مجراه، ومتواصلاً بدون استعانة بأيّ قوّة أو سلطة نحو هدفه النهائيّ، ألا وهو بحر التسامي الإنسانيّ اللامتناهيّ. وهو برنامج، لو طبّق في قالب نظام اجتماعيّ في حياة البشر وتحقّق، لجلب لهم، بالتأكيد، الرفاهية والاستقرار والحرية والتعاضد والتكافل والإخاء، ولوَضَعَ حدّاً لجميع مآسي البشريّة المزمنة.

ولكن، ما هو هذا البرنامج وهذا الطريق؟ الكلُّ مدّعٍ في هذا السّوق المضطرب، وكلّ جماعة ترى غيرها على خطأ. ينبغي أن يُحدَّد هذا الصراط المستقيم، في نظر القرآن الكريم، بالإلتفات إلى هذه المقدّمة القصيرة.

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم

من هم أولئك الذين شملتهم نعمة الله وأُعْطُوها؟ لا شكّ بأنّه ليس المراد من النعمة المال والجاه والعشْرة الماديّة (الدنيويّة)، فأبرز (أكثر) الحاصلين عليها كانوا دائماً من ألدّ أعداء الله وأعداء خلقه؛ بل المراد بها نعمة أكبر من هذه الزخارف، إنها نعمة تفوق هذه الألاعيب والمزيّفات، فهي نعمة اللطف والعناية وهداية الله. نعمة معرفة القيمة الحقيقيّة [الواقعيّة] للنفس والظفر بها والرجوع إليها.

وفي موضع آخر عرّف القرآن الكريم الذين أوتوا هذه النعمة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ﴾[1].

في هذه الجملة، يطلب المصلّي من الله أن يهديه إلى صراط الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، وهذا خطّ واضح على طول التاريخ. وهو طريق ظاهرٌ بيّنٌ، ذو هدفٍ مشخّصٍ، وسالكون معروفون.

وهناك في مقابله خطّ آخر، وهو واضح أيضاً، وله أتباعٌ مشخّصون، وبذكر ذلك الطريق وسالكيه [صراط الذين أنعمت عليهم] يؤدّب المصلّي نفسه ويحذّرها أن تطأ الطريق [المقابل] أو أن تنجرف نحوه، وهذا ما يظهر في تتمّة الدعاء السابق.

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

من هم الذين غضب الله عليهم؟

أولئك الذين سلكوا طريقاً آخر مقابلَ طريق الله، وجرّوا الكثير من الناس الآخرين، سواءٌ الغافلون منهم وفاقدو الإرادة والضعفاء، أم الواعون والمختارون، حيث قيّدوهم وحملوهم على السير معهم في هذا الطريق؛ والذين أمسكوا بزمام أمور الناس على طول التاريخ عن طريق القهر والجبروت أو الخداع والنفاق، وصنعوا منهم كائنات مجبرة وآلات تابعة (مستضعفة)؛ والذين أعدّوا وفسحوا المجال للرذيلة والعلاقات المنحطّة عن طريق استغفال الناس والتسلّط عليهم.

بعبارة أخرى، أولئك الذين صاروا مورداً لغضب الله عندما سلكوا طريق الضلال، لا عن جهل وغفلة فحسب، بل عناداً، وبسبب الأنانيّة وحُبّ الذات.

في واقع التاريخ، كانت هذه المجموعة تتشكّل من الطبقات العليا والمقتدرة ومن أصحاب النفوذ الدنيويّ، ودائماً ما كانت مقاصد الدين ترسم خطّ الإبطال والنسخ على فلسفة وجود هؤلاء، وكانت أوّل خطوة هجوميّة تخطوها أيضاً في وجه هؤلاء.

وما عدا هاتين المجموعتين- مجموعة المهديّين ومجموعة المغضوب عليهم-، هناك أيضاً مجموعة ثالثة ينتهي بها الطريق

إلى ما ينتهي إليه طريق «**المغضوب عليهم**» نفسه[1]. الجملة التالية تشير إلى هذه المجموعة من الناس.

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

الذين سلكوا عن جهل وغفلة، اتّباعاً لأسيادهم المضلّين، طريقاً غير طريق الله والحقيقة؛ في حين كانوا يظنّون أنّهم سائرون في الطريق الصحيح، إلّا أنّهم كانوا يَخطون في طريق خطر، ويتّجِهون إلى نهاية مرّة.

يمكن أيضاً مشاهدة هذه المجموعة بوضوح في التاريخ: إنّ كلّ الذين كانوا يمتثلون أوامر أسيادهم في النظم الجاهليّة، ويطيعونهم إطاعة عمياء، وكانوا من أجلهم يخطّئون المنادين بالحقّ والعدل والحاملين لرسالة الله، وحتى إنّهم كانوا أحياناً يقفون بوجههم، ولم يسمحوا لأنفسهم، ولو للحظة واحدة، بإعادة النظر بهذا الموقف اللّامعقول.

ونحن نُسمّي هذا الأمر «**غير معقول**» [غير العقلانيّ] لأنه يحقّق مصالح الطبقات المستكبرة، ويعود بالضرر على هؤلاء الضّالّين أنفسهم. وعلى العكس من ذلك، فإنّ دعوة الرسل تستأصل شأفة

(١) تمّ بيان هذا الأمر في آيات عدة من القرآن الكريم بلحن مليء بالمعاني وبمناسبات شتى من بينها: سورة الشعراء، الآيات: (٩١ـ١٠٢)، سورة ص، الآيات: ٥٨ـ٦١؛ سورة إبراهيم، الآيات: ١٢ـ٢٢، سورة غافر، الآيات: ٤٧ـ٤٨.

الفئة المغضوب عليها ووجودها، وهذا بالطبع في صالح الطبقات المحرومة والمستضعفة، ومن ضمنها هؤلاء المغفّلون.

إنّ المصلّي، باستذكاره هذين المنهجين (منهج المغضوب عليهم ومنهج الضالّين)، تظهر فيه حالة الحساسيّة والدقّة والمراقبة بالنسبة إلى الطريق الذي ينبغي أن يسلكه، والموقف الذي ينبغي أن يتّخذه فيما يتعلّق بدعوة الأنبياء المنجية. وعندها، إذا رأى في سلوكه علامة على الرشد واهتداء الطريق، يلهج ثانية شاكراً هذه النعمة الكبيرة قائلاً: الحمد لله ربّ العالمين[1].

وعلى هذا النحو، يكون قد تمّ جزء مُهِمّ من الصلاة. كانت هذه فاتحة القرآن التي نقرأها (فاتحة الكتاب).

إنّ فاتحة القرآن كمقدّمة أي كتاب تظهر صورة عامّة لمجموعة معارف الكتاب. فكما أنّ الصلاة تمثل خلاصة وصورة مصغّرة عن الإسلام، أشير فيها إلى الكثير من النقاط البارزة لأيديولوجيّة الإسلام؛ فإن سورة الفاتحة متضمّنة أيضاً للنقاط البارزة والخطوط العريضة للمعارف القرآنيّة، والمشتملة على خلاصة التوجيهات المهمّة فيه. ولهذا:

فإنّ العالَمين والعوالم وجودٌ واحدٌ متّصلٌ، أنشأه الإله: ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(١) قيل باستحباب التلفظ بهذه الجملة عند الفراغ من سورة الفاتحة.

كلّ شيء وكلّ شخصٍ هو تحت رحمة الله وعطفه؛ أمّا المؤمنون فلهم منه مورد رحمةٍ ولطف خاصَّيْن: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

للإنسان بعد هذا العالم حياة مستمرّة ودائمة، وإنّ الحاكمية المطلقة في تلك النشأة هي لله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.

على الإنسان أن يتحرّر من قيد عبوديّة غير الله، وأن يحيا تحت ظلّ رعاية الله وتدبيره، بالخصائص الإنسانيّة وفي طريق الإنسانيّة، حرّاً مختاراً: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾.

عليه أن يلتمس طريق السعادة والصراط المستقيم في حياته من الله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾.

عليه أن يشخّصَ جبهةَ الأعداء وجبهةَ الأصدقاء، وأن يتعرّف على مواقفهم ودوافعهم واستراتيجيّاتهم، ليحدّد موقفه من كلتا الجبهتين بما يمليه عليه إيمانه: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

الفصل الثاني

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ
﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ

بعد إتمام هذه المناجاة المربّية الفائضة بالمضامين، على المصلّي أن يقرأ سورة كاملة من القرآن.

هذه التلاوة جزء من القرآن يختارها المصلّي بحريّته وإرادته، يفتح بوجهه فصلاً آخر من المعارف الإلهيّة الإسلاميّة.

فريضة تلاوة القرآن في الصلاة كما قال الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في حديث الفضل بن شاذان: **«إنّما أمر الناس بالقراءة في الصلاة لئلّا يكون القرآن مهجوراً مضيّعاً وليكون محفوظاً مدروساً، فلا يضمحلّ ولا يُهْجَر ولا يُجْهَل»**[1].

نكتفي هنا بالإشارة إلى سورة التوحيد التي تتلى عادة في الصلوات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ

أيها الرسول، قل واعلم وبلّغ الآخرين بهذه الحقيقة، أنّ:

هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

فليس له شريكٌ ولا مثيلٌ ولا نِدٌّ من الآلهة التي تعرّفها [تقدّمها] عقائد الأديان المنحرفة.

(١) الوسائل، ج ٤، ص ٧٢٣.

ليست ساحة الخليقة مسرحاً لتنازع الآلهة وصراعهم، بل إنّ جميع سنن العالم وقوانينه صادرة عن إرادة واحدة وقدرة واحدة. ولهذا السبب، يسودُ عالمَ الخليقةِ النظامُ والانسجامُ والتناسق، فجميع القوانين والتحوّلات والتحرّكات الطبيعيّة في العالم تتحرّك باتجاه واحد في الحركة والعمل. الإنسان وحده الذي متّعه الله بالإرادة والاختيار والقدرة على اتخاذ القرار؛ ويمكنه أن يتمرّد على هذا النظام ويعزف لحناً شاذاً كما يمكنه أيضا أن يصنع لنفسه حياةً تنسجم مع هذه القوانين.

ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾

الله غير محتاج (إلى أيّ شخص وأيّ شيء) من جميع الجهات. فالله سبحانه الذي أتواضع أمامه وأعظّمه وأحمده ليس كباقي الأرباب المفترضة، المحتاجة إلى الرعاية والمساعدة في وجودها واستمرارها في الحياة، وفي قدرتها وحياتها. فمثل هكذا إلهٍ [محتاج] لا يستحقّ التكريم ولا التعظيم، لأنّه موجود كالإنسان أو أدنى منه. فالإنسان، ذلك الموجود العظيم، لا يجعل تعظيمه وثناءه وعبوديّته إلّا لتلك القدرة التي لا تكون محتاجة أدنى احتياج إلى أي وجود وأيّ عنصر. أي أن وجودها وقدرتها وخلودها نابعة من ذاتها.

لَمْ يَلِدْ

ليس هو ما تطرحه أوهامُ الأديان المنحرفة وعقائدُ الشّرك وأساطيرهم. ليس إله المشركين المتوهّم حيث تصوّروا له ولداً أو أولاداً، إنه خالق وموجد كلّ شيء وكلّ شخص، لا أنّه أبوهم؛ وجميع سكان السموات والأرض هم عباده لا أولاده.

إنّ نسبة «**الربوبيّة والعبوديّة**» بين الله والإنسان هي التي تمنع عباد الله الواقعيّين من عبادة أي شيء أو أي أحد غير الله، فليس بالإمكان عبادة ربّين.

أولئك الذين تصوّروا الله أباً عطوفاً للمخلوقات، وظنّوا أنّ البشر أبناؤه، ولم يدركوا معنى نسبة «**الربوبيّة والعبوديّة**» التي تليق بالإنسان ومقامه وكرامته، قد فتحوا- في الحقيقة - طريقاً لعبادة غير الله، وأصبحوا عمليّاً عبيداً للكثير من أرباب الدنيا عديمي المروّة، وصاروا آلة بيد النخّاسين والمسترقّين.

وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾

فهو ليس بظاهرة [حادثة]، حتّى يوماً لا يكون ويوماً آخر يأتي إلى ساحة الوجود. وهو ليس وليد أحدٍ أو فكرةٍ أو ظنٍّ وتخيّل. وليس وليد نظام أو طبقةٍ أو شكلٍ من أشكال حياة البشر. إنّه أعزّ الحقائق وأرفعها شأناً، إنّه حقيقة أزليّة، كان دائماً وسيبقى أبداً.

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

ليس بالإمكان تشبيهه بأحد ولا يمكن لأحدٍ أن يماثله أو يشاكله، ومن غير الممكن تقسيم مناطق نفوذه ومناطق حكمه، وهي عالم الكون بتمامه، بينه وبين شخص آخر، ولا يمكن أن يكون جزءٌ من حياة الإنسان له والجزء الآخر لغيره، من الأرباب الأحياء وغير الأحياء، ومن مدّعي القدرة والألوهيّة.

هذه السورة، كما يظهر من تسميتها، هي بحقّ سورة التوحيد. إنّ رؤية التوحيد المحكيّة في كلّ القرآن وفي مئات الآيات، بسياقات وعبارات مختلفة؛ جاءت في هذه السورة بنحو صياغة مكثّفة وبعبارات ناظرة إلى المعتقدات الخرافيّة الملوّثة بالشرك التي شاعت في ذلك الزمان، وقد بُيّنت بشكل حاسمٍ وصريحٍ، نافيةً ومبطلةً لأي مُدّعٍ للألوهيّة يمكن أن يُطرح.

تعرّف هذه السورة المسلمينَ وجميعَ العالمين، من جهة، بالإله الذي يستحقّ العبادة والتمجيد بنظر الإسلام: إنّ الإله الذي لا يكون هو الأوحد، بل له مئات وآلاف المشاكلين، ليس جديراً بالربوبيّة والألوهيّة. وإنّ المقتدر أو القدرة المحتاجة في وجودها واستمرارها إلى مساعدة موجودٍ آخر، لا يمكن ولا ينبغي أن تُفرض على البشر. إنّ الذي يعظّم الأرباب المزيفة المحتاجة والمحدثة والمعرّضة للزوال وينحني أمامها، إنّما يدوس كرامته الإنسانيّة،

ويجرّ نفسه والإنسانيّة القهقرى. هذه هي الجنبة المثبِتة في سورة التوحيد التي تستعرض مميّزات المعبود وربّ الإنسان، وتُثْبِت زيف الأرباب على طول التاريخ.

ومن جهة أخرى، تحذّر عباد الله من تلويث أنفسهم بالأبحاث العقليّة المثيرة للشبهات والوساوس بشأن ذات الله وصفاته، وأن يذكروا الله ويدعوه بكلام بسيط [ومختصر]، يُخرج أصحاب التُّرّهات والهاذرين ويطردهم من مقام قدس الربوبيّة. فبدل أن يستغرق الإنسان في التفلسف والذهنيّات، عليه أن يفكّر في الالتزامات النابعة من عقيدة التوحيد.

وكما جاء في حديث الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: «**إنّ الله عزّ وجلّ، علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فمن رام وراء ذلك فقد هلك**»[1]

كأنّ سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تقول للمصلّي: إنّ الله قدرة فريدة، رفيعة سامية ومتعالية، وهو مستغنٍ ذاتاً وغير محتاج ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وليس له مشابه ولا مشاكل.. ليس سوى هذا وكفى، والعلم والرؤية [أنّه بصير]، والحكمة وباقي صفات الله تعالى التي يلزم على المسلم أن يدركها ويفهمها، والتي تكون

(١) نور الثقلين: ج٥، نقلاً عن أصول الكافي.

مؤثّرة في شكل ونمط حياته وارتقاء روحه، ذكرت أيضاً في آيات أخرى من القرآن، فلا تتعمّق أكثر من هذا في ذات اللّه وكيفيّة صفاته، وستحصل على معرفة أكثر خلال العمل. لا تكن في صدد الحصول على معرفة أكثر من خلال البحث والتنقيب الذهنيّ العميق، بل حاول تحصيل المعرفة عن طريق التحلّي بالصفاء وروحانيّة الباطن والروح، ومن خلال العمل بلوازم التوحيد.. وهكذا كان الأنبياء والصدّيقون، عباد اللّه المخلصين، والموحّدين والصادقين والعارفين.

الفصل الثالث

التسبيحات الأربع:

- سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ

وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ

وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

وَٱللَّهُ أَكۡبَرُ

الفهم الكامل للتوحيد

قبل أن ندخل في بيان الذكر في الركوع والسجود، نوضح الجمل التي يردّدها المصلّي في الركعتين الثالثة والرابعة قائماً، هذه الجمل هي أربعة أذكار تنطق بأربع حقائق عن الله تعالى: «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر**».

إنّ معرفة هذه الخصوصيّات الأربع لها تأثير عميق في تكوين فهم صحيح وكامل عن التوحيد، إذ إنّ كلّ واحد من هذه الأذكار يبيّن صورةً ومتناً لعقيدة التوحيد.

وإنّ تكرار هذه الجمل ليس من أجل زيادة الإطلاع والمعرفة الذهنيّة لدى الإنسان وحسب، بل ينبغي أن تكون أعظم فوائد معرفة صفات الله وخصوصياته والمداومة على ذكر الله، هو أن تُوجد في الإنسان الحركة والمسؤوليّة، وأن يتحمّل المسؤوليّة المتناسبة مع تلك الحقيقة التي أدركها.

بشكل عامّ، ينبغي أن تكون العقائد الإسلاميّة (خارج الذهن) وفي ساحة الحياة منشأً للعمل والحركة، فهذه العقائد لا تستمدّ أهميتها واعتبارها من جهتها الذهنية والتجريديّة صرفاً، بل هي أكثر اعتباراً في الإسلام، كونها ناظرة إلى حياة الإنسان وسلوك الفرد والمجتمع. صحيح أنّ كلّ عقيدة إسلاميّة هي في المعنى

معرفةُ حقيقة معيّنة، ولكن تلك العقائد المؤكّدة في الإسلام والتي يجب الاعتقاد بها، هي التي توجد التزاماً لدى الإنسان المعتقد بها، وتضع على عاتقه مسؤوليّةً وتكليفاً جديداً.

والاعتقاد بوجود الله هو من هذا القبيل. فالاعتقاد بوجود الله أو الاعتقاد بعدم وجوده ، كلّ منهما، يُوجِد في الحياة والعمل نمطاً وشكلاً خاصّاً. فالفرد والمجتمع الذي يعتقد حقّاً بوجود الله يعيش في الحياة بنمطٍ ونحوٍ خاصَّين، والفرد والمجتمع المنكر لهذه الحقيقة يعيش بنحوٍ آخر. فإذا اعتقد الإنسان أنّه، هو والعالمُ، قد أُوجِدا من جانب قدرة مريدة وعن حكمة وشعور، فسيدفعه هذا الاعتقاد إلى اعتقاد آخر وهو أنّ هذا الخلق كان لـ **«هدف وغاية»**، ويذعن بأنّ عليه أن يؤدّي دوراً ويتحمّل مسؤوليّة لبلوغ هذه الغاية. وهذا الشعور بالمسؤوليّة والالتزام هو الذي يدعوه إلى العمل والجدّ وتحمّل مسؤوليّات ثقيلة، ويشعر تجاه ذلك كلّه بالرضا ويتقبّله عن طيب نفس.

وهكذا أيضاً، الاعتقاد بالمعاد والنبوّة والإمامة و... فكلّ واحدة تلقي مسؤولياتٍ وتكاليفَ على عاتق المعتقد، وتشخِّص له بمجموعها طريقه وبرنامجه ومنهج حياته العامّ.

وإن ظهر في الواقع الخارجيّ، أنّ بعضَ من يعتبرون أنفسهم معتقدين بهذه الأصول الفكريّة، يرون أنفسهم متساوين مع أولئك الذين ليس لديهم إطّلاع عليها ولا يعتقدون بها، وحياتهم

هي كحياة أولئك؛ فليس هذا [التصوّر] إلاّ بسبب عدم الإطّلاع الصحيح أو لعدم تجذّر إيمانهم وتسليمهم. وفي المواقع والظروف الحساسة وفي منعطفات الحياة، يمتازُ صفُّ المعتقدين الواقعيّين عن المقلّدين الجاهلين والمنتهزين للفرص. وبهذه الرؤية، نعرّج على مفاد الأذكار الأربعة ومحتواها.

سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ

اللّه منزّهٌ عن أن يكون له شريك، ومنزّه عن الظلم، وعن أن يكون مخلوقاً، وعن الفعل المنافي للحكمة والمصلحة، وعن جميع النواقص والاحتياجات والعيوب الموجودة في الكائنات، وعن جميع الصفات التي هي من لوازم أن يكون مخلوقاً أو ممكناً.

من خلال التلفّظ بهذه الجملة وذكر هذه الخصوصيّة للّه، يفهم المصلّي ويستذكر أنّه أمام عظيمٍ وذاتٍ محمودة، يقف خاضعاً معظّماً، فهو يشعر أنّ تعظيمه وتواضعه هو مقابل الإحسان والجود والكمال المطلق. فهل يشعرُ أحدٌ بالحقارة عندما يحترم الطهارة والإحسان والجمال المطلق؟

إنّ صلاة الإسلام هي التواضع والتعظيم أمام هذا المحيط اللّامتناهي من الإحسان والكمال والجمال. وهذه الصلاة ليست خضوعاً يُهينُ الإنسان ويقلّل من شأنه وكرامته وعزّته الإنسانيّة،

وليست تملُّقاً يُذِلّ الإنسان ويحقّره. أليس الإنسان سوى موجودٍ مدركٍ للجمال، وباحثٍ عنه؟ إذاً، فمن الطبيعيّ جدّاً أن يخضع ويتذلل أمام الكمال المطلق. وأن يعبد الذات المالكة له وأن يعظّمها ويمجّدها بتمام وجوده. هذا التمجيد وهذه العبوديّة تدفعانه نحو طريق الكمال والإحسان والجمال، ويجعلان حركة حياته في هذا الاتجاه وهذا المسار.

إنّ الذين يرون العبادة الإسلاميّة منشأَ ذلّة الإنسان وضعفه، وقاسوها بتبجيل القدرات المادّية والثناء عليها، قد أغفلوا نكتة دقيقة وهي: أنّ مدح الإحسان والطّهر والثّناء عليهما هو بحدّ ذاته أقوى باعث ومحفز إلى الإحسان والطّهارة. هذه النكتة، هي التي تعلّمنا ذكر «سبحان الله».

ٱلْحَمْدُ لِلَّه

فالإنسان طوال حياته المليئة بالمتاعب، كان دوماً- لأجل الحصول على المُتع والمكاسب المختلفة والامتيازات الصغيرة والكبيرة، ولأجل البقاء بضعة أيام أخرى على قيد الحياة، وفي أحيان كثيرة من أجل لقمة العيش- يفتح فمه بالحمد والثناء على المساوين له في الخلقة الذين لا يمتازون منه بمنبت نجابة أو شرف، ويسلّم جسمه وروحه لأسياده وأولياء نعمته. ولأنّه يعتبر

رزقه مرتبطاً بأذلّاء النعمة [يراهم مصدر الرزق]، فيرضخ في طلبه ويقبل بالعبوديّة لوليّ نعمته، عبوديّة الجسد والروح والفكر.

يفهم من خلال استذكار أنّ «**جميع المحامد والثناء هي لله**»، أنّ جميع النعم أيضاً هي من الله. فإذاً، لا أحد يملك - في الحقيقة والواقع- أي شيءٍ ليمكنه من خلال ذلك أو يحقّ له استرقاق أحدٍ وجعله مطيعاً وأسيراً له. وهذا أيضاً، يلقّن النفوس الضعيفة ويرشد القلوب المسحورة والعيون المخدوعة بالنعم: أن لا تتّخذَ رحمةَ السلاطين وعطاءَ الأسياد (الحقير) شيئاً، ولا تعتبره منهم، ولا تسلّم قيادها لهم رقّاً وعبوديّة، وأن لا تقبل المنع والحرمان منه [الرزق]، ولتعتبر المحتكر له غاصباً ومتعدّياً.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

هذا شعار الإسلام الذي يُظهر بمجموعه مشهداً للرؤية الكونيّة والأيديولوجيّة لهذا المذهب. ويتضمّن هذا الشعار «**نفياً**» و«**إثباتاً**»[1].

بدايةً، يرفض الإنسان كلّ القدرات الطاغوتيّة وغير الإلهيّة، ويخلّص نفسه من ربقة العبوديّة لأي قوّة شيطانيّة، ويقطع كلّ يد أو رجل تسحبه بأيّ شكلٍ نحو طريق ما، ويرفض كلّ قدرة غير قدرة

(١) أو [إبطال وتأييد]

اللّه وكلّ نظام إلاّ النظام الإلهيّ، وكلّ الدوافع إلاّ الدوافع المَرْضيّة للّه، وبهذا النفي المجيد يتحرّر من كلّ ذُلٍّ وحقارةٍ وانكسارٍ وقيدٍ وأسرٍ وعبوديّة. فيهيمن أمر اللّه وإرادته -التي لا تتحقّق إلّا في قالب «**نظام إلهيّ**»، أي المجتمع الإسلاميّ بمعناه الحقيقيّ- على وجوده ويسلّم بعبوديّة اللّه التي لا تتوافق ولا تتّفق مع أي عبوديّة أخرى.

عبوديّة اللّه تعني تدبير نظام الحياة طبقاً لأوامر اللّه الحكيمة، والعيش في ظلّ النّظام الإلهيّ الذي رُسِمت خطوطه العريضة وفقاً لأوامر اللّه. أو السعي والتحرّك بجميع القوى والجهود الممكنة بهدف إيجاد هكذا نظام وهكذا نظم.

وأمّا النُّظم الأخرى التي بُنِيت على أساس الفكر البشريّ، فليست قادرة على إسعاد البشر وإيصالهم إلى كمالهم الإنسانيّ المطلوب، بسبب عدم خلوّها من الجهل واعوجاج الفكر، وأحياناً لعدم خُلوّها من المطامع.

فالمجتمع والنظام الإلهيّ هو الوحيد الذي يمكن أن يكون محيطاً مناسباً لنمو هذا البرعم الذي يسمّى «**الإنسان**»، لكونه [أي هذا النظام] نابعاً من حكمة اللّه ورحمته، ولمعرفته بحاجات الإنسان وقدرته على تأمينها..

نحن لسنا أعداءً للنُّظم الأخرى، بل نحن نشفق عليها، هذا كلام الأنبياء وهم آباء البشر المشفقون عليهم، إنّهم يعلّمون منشئي

البيوت ومهندسيها، البيوت التي ينبغي أن تعيش فيها الناس، أي أنّهم يعلّمون مبتكري النظم الاجتماعية وبُناتها ويُسدون النصيحة لهم: إنّ الإنسان لم ولن يكون سعيداً إلاّ في ظلّ نظام إلهيّ وتوحيديّ. وقد أثبت التاريخ ورأينا ونرى ما الذي عانته الإنسانيّة في ظلّ النظم غير الإلهيّة، وكيف مُسخت الإنسانيّة وإلى أي مصير وصلت؟

اَللّٰهُ أَكْبَر

وبعد هذا البطلان [النفي] كلّه، يَشعرُ الإنسان العاديّ، الذي ما زال عالقاً في لُجّة الوقائع الجاهليّة، بالغربة والرّوع ، ويجد نفسه وحيداً؛ فهو، من جهة، يرى عياناً أنّ جميع الأسس، التي كانت تبدو حتى وقتٍ قريبٍ ثابتةً، آيلةٌ إلى السقوط. ومن جهة أخرى، توحي له الجاهليّة بأنّها ما زالت بضخامة الجبل تربض أمام وجهه.

فالأشياء ذاتها التي نفاها، تظهر له وتتراءى أمام عينيه مُحاوِلَةً إرعابه، في اللحظة نفسها التي يقول فيها الله أكبر من كلّ شيء، من كلّ شخص، من كلّ القدرات والمقتدرين، وأكبر من أن يوصف، وهو مهندس السنن والقوانين التكوينيّة في العالم، سواء في مجال الطبيعة أم في التاريخ؛ إذاً، التوفيق والنصر النهائيّ الذي يكون في ظلّ تعاهد هذه القوانين والسنن، هو فقط من خلال الالتزام بأوامره، وإنّ عباده المطيعين له هم الجبهة الوحيدة المنتصرة في

صراع البشريّة التاريخيّ.

وكان النبيّ محمّد ﷺ مدركاً لهذه الحقيقة تماماً ومؤمناً بها بكلّ وجوده، ويتلمّسها. ولذا، ثبت بمفرده بوجه جميع الضالّين في مكّة، بل بوجه كلّ العالم. وكما يُتَوقَع من إنسان عظيم كالنبيّ ﷺ، الذي أظهر إصراراً على الثبات والمقاومة، فحرّر قافلة البشر الضّالّة من التبعيّة الذليلة للقوى الطاغوتيّة وسيّرها في المسار الفطريّ، الذي هو مسار التكامل.

فالذي يجد نفسه ضعيفاً مسلوب الإرادة أمام أشكال القوى البشريّة، إذاً أدرك أنّ أعلى القدرات وأكبرها هو الله تعالى فسوف يطمئنّ قلبه، ويهدأ وتتّقد في باطنه قوّة فريدة، وهي التي تجعل منه الأفضل والأقوى.

كانت هذه خلاصة حول مفاد الجمل الأربع التي تتكرّر في الركعتين الثالثة والرابعة من الصلاة حال القيام.

الفصل الرابع

حَرَكاتُ الصَّلاةِ وأذكارها

بسم
الله
الرحمان
الرحيم

الركوع

بعد إتمام القراءة[1] يدخل المصلّي في الركوع، أي ينحني أمام الله، الموجود ما وراء ذروة التفكير الإنسانيّ في آفاق الخصال الحميدة والعظيمة.

الركوع مظهرٌ ومثال لخضوع الإنسان أمام القدرة التي يعتقد أنّها أقوى منه. ولأنّ المسلم يرى أنّ الله فوق كلّ القدرات، فهو يركع أمامه. ولأنّه لا يرى أيَّ موجود أعلى وأفضل من إنسانيّته، غير الله، فلا ينحني لأيّ شيء أو شخصٍ آخر.

وفي هذه الحال، يظهر أمام الله بمظهر الخضوع، ولسانه يلهج بحمد الله والثناء عليه وذكر عظمته.

سبحان ربيّ العظيم وبحمده[2]

إنّ هذه الحركة التي تترافق مع قول متناسب، تُظهر، للمصلّي،

(١) - المقصود من القراءة هو قراءة الحمد والسورة في الركعتين الأولى والثانية، والتسبيحات الأربع أو الحمد في الركعتين الثالثة والرابعة.

(٢) - بالإمكان أيضاً استبدال هذا الذكر بقول: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله.

ولمن يشاهده على هذه الحال، عبوديّته أمام الله. وبما أنّ عبد الله ليس عبداً لغير الله، فهي تنبئ بوضوح تامٍّ عن افتخاره وتحرُّره من عبوديّة غير الله.

السجود

عند رفع الرأس من الركوع وفي حالة الاستعداد لتعظيم وخضوعٍ أكثرَ، يهوي إلى الأرض ويسجد. إنّ وضع الجبهة على الأرض يظهر أعلى مستوى من الخضوع، والمصلّي يعتبر هذا المستوى هو نصاب التواضع الحقيق واللّائق؛ فالخضوع أمام الله [لله] هو خضوع أمام الجميل والجمال المطلق، ويرى ذلك حراماً وغير جائز أمام أي شخص وأيّ شيء سوى الله؛ إذ إنّ جوهر الإنسانيّة، الذي هو أثمن بضاعة في متجر الوجود، يتحطّم بهذا العمل [أي الخضوع لغير الله] ويغدو الإنسان ذليلاً ومنكسراً. وبينما هو ساجد على الأرض، غارق في عظمة الله، يتناغم لسانه أيضاً مع هذه الحالة ويفسِّر في حقيقةِ عملهِ الذكر الذي ينطق به.

سبحان ربّيَ الأعلى وبحمده[1]

الله الأعلى، الله المنزّه والمطهّر، وفقط أمام هكذا موجود، جدير وحقيق، يُطلق الإنسان لسانه بالثناء ويضع جبهته على التراب.

إذاً، سجدة الصلاة ليست سجدة أمام موجود ناقصٍ وضعيفٍ لا قيمة له كالسجود للأصنام والقوى الخاوية، بل هويٌّ وسجودٌ أمام الأعلى والأطهر والأعزّ.

يعلن المصلّي بهذه الحركة بنحوٍ عمليّ انصياعه لله الحكيم والبصير. وقبل كلّ ذلك، يلقّن نفسه هذا التسليم والانقياد. وكما عرفنا، فإنّ قبول هذه **«العبوديّة المطلقة لله»** هو الذي يبعد عن الإنسان ربقة العبوديّة لأيّ شيءٍ وأيّ شخصٍ، ويخلّصه من الأغلال والضّعة التي تفرض عليه.

إنّ أهمّ أثر يرتجى من هذين الذكرين (ذكر الركوع والسجود) هو تعليم المصلّي وإرشاده بأنه: أمام أي شيء يجب الخضوع والتسليم، والثناء عليه. وهذا معناه نفي كلّ ما عدا الله، ولعلّ الحديث المنقول عن الإمام عليه السلام يشير إلى هذا الأمر: **«أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد[2]»**.

---

(١) - بالإمكان أيضاً أن تقول ثلاثاً: سبحان الله.

(٢) - سفينة البحار (ج١) مادة سجد

التشهّد

في الركعة الثانية وفي الركعة الأخيرة من كلّ صلاة، يتلفَّظ المصلّي، بعد أن يرفع رأسه من السجدتين وهو جالس، بثلاث جمل، تعبِّر كلّ واحدة عن حقائق دينيّة، وتسمّى هذه العملية المقترنة بالألفاظ (التشهُّد).

حيث يشهد في الجملة الأولى بوحدانيّة [أحديّة] ربّ العالمين: «**أشهد أن لا إله إلّا الله**»، ثمّ يؤكّد هذه الحقيقة بهذا النحو: «**وحده**»، ثمّ يؤكدها بنحو آخر: «**لا شريك له**».

كلّ فرد وكلّ شيء يَضعُ الإنسانَ تحت نير عبوديّته ويصيّره مطيعاً له فهو إلهه. فالأهواء والميول الحيوانيّة، والشهوات والأطماع الإنسانيّة، والنظم والمواثيق الاجتماعية، واضعوها وزعماؤها، كلّ واحدة منها تدعو الإنسان بنحو ما إلى خدمتها وإلى تأليهها[1].

وإنّ ذكر (لا إله إلّا الله) هو نفيٌ لكلّ هذه الإمرات والمُلكيّات. والتشهّد شهادة من المصلّي على هذا النفي، أي أنّ المصلّي يذعن ويسلّم بأنّ الإله الواحد [الأحد] هو الذي له حقّ الإمرة والألوهيّة دون غيره، وأنّ جميع ما عداه ليس له أي حقّ في التحكّم به.

---

(١) ـ يلتفت إلى آيات من قبيل ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ سورة الجاثية/ الآية (٢٣) و ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ و ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ سورة التوبة/ الآية (٣١) و ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ سورة القصص/ الآية (٣٨)، وروايات من قبيل «**ألهتهم بطونهم**».

وعندما قَبِلَ الإنسان بهذا، لم يعد له الحقّ بقبول ألوهيّة أي موجود آخر أو إطاعته وعبادته (سواء أكان إنساناً أو حيواناً أو ملاكاً أو جماداً أو أهواءَ نفسه وشهواتها). وليس معنى ذلك أنّ الموحِّد لا يخضع لأيّ ميثاق والتزام اجتماعيّ، ولا يقبل بأيّ قانون وبأيّ حاكم. إذ من الواضح أنّ الحياة الاجتماعيّة بحسب ماهيّتها لا تخرج عن إطار الالتزام والانقياد. بل بمعنى أنّه لا يقبل بأيّ تحكُّم أو أي نظام لم ينشأ من أوامر الله. وهو في حياته الشخصيّة والاجتماعيّة مطيع لأمر الله، وقد يلزم - بناءً على الأمر الإلهيّ، وبمقتضى شكل [نظام ما] قد حدّدهُ الله لإدارة الحياة البشريّة -، أن يطيع أشخاصاً ويلتزم بمجموعة من العهود والمواثيق. فالطاعة والالتزام، بحسب الطبيعة الذاتيّة للحياة الاجتماعيّة، غير قابلة للانفصال عن حياة الإنسان الموحّد أيضاً، غاية الأمر أنّ هذا الانقياد ليس طاعةً لأهواء النفس الجامحة أو للاستبداد والتسلّط والأنانيّات الآدمية لأمثاله من البشر، بل هو امتثال لأمر الله البصير الحكيم وإرادته. فهو الذي يحدّد الأنظمة والقوانين التي يجب تطبيقها، ويعيِّن القَادَة الذين تجب إطاعتهم، فهم يجرون حكومتهم على عباد الله، فقط، في حدود الأوامر الربانية وإطارها[1].

(١) - التدقيق في هذه الآيات والروايات من قبيل ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ سورة النساء/ الآية (٨٠) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ سورة المائدة/ آية (٥٥). والروايات: (وانظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر...) الإمام الصادق عليه السلام؛ الكافي، ج ٧، ص ٤١٢؛ و(العلماء أمناء الرسل على خلقه...) نزهة الكرام، ص ٣٩٧؛ يمكن أن يكون موضحاً للحدود التقريبية لهذه الحقيقة.

إنّ هذا الأمر الربانيّ ناظر إلى هذه الحقيقة: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

وربّما من أجل ملاحظة هذا المعنى، وربطاً به، هو ما يقوله المصلّي في الجملة الثانية من التشهّد: «**وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله**».

إنّ التسليم بأنّ محمّداً ﷺ مرسلٌ من الله هو بمعنى قبول الاستخلاف الإلهيّ، أي أنّ سبيل الله هو في اقتفاء طريق رسوله محمّد ﷺ، وأنّ أوامره تؤخذ وتُتلقّى من عبده المصطفى.

كثيرٌ من عباد الله أخطؤوا في معرفة الطريق المرضيّ من الله. إنّ تعريفَ النبيّ محمّد ﷺ والتسليم بكونه رسول الله، محدّدٌ وموجِّهٌ للجهد والحركة التي ينبغي أن يُظهرها الإنسان العابد في حياته، لكي يثبت صحّة دعواه في عبادة الله.

في هذه الجملة (أشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله)، واستناداً إلى عبوديّة محمّد ﷺ، والإتيان بكلمة (عبده) قبل (رسوله)، فقد أريد التعريف بأهمّ فضيلة في الإسلام، وهذا هو الحقّ. فإنّ جميع الفضائل الإنسانيّة تختصر في عبادة الله الحقيقيّة والمخلصة له، وكلّ من هو أكثر سبقاً في هذا المضمار، هو أثقل من غيره في كفّة الإنسانيّة.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩

هذا الكلام، بالنسبة إلى الشخص العارف بمفهوم(عبادة الله) غنيّ عن الاستدلال. فإن كان معنى عبادة الله هو الخضوع أمام الحكمة والبصيرة والرحمة والإحسان والجمال اللّامتناهي، والملازم للتحرّر من عبادة النفس وعبوديّة الغير، فأيّ قيمة، أسمى من هذه، يمكن الحصول عليها؟ أليست جميع المساوئ والمذلّات والشقاوات والرذائل وانعدام المروءة، وكلّ الظلمات المدلهمّة الحالكة، وليدة عبوديّة الإنسان لجموح النفس أو طغيان المدّعين من البشر وغرورهم؟ أليست عبادة الله تُحرِق جذور كلّ عبوديّة أخرى وتُحطّمها؟

إنّ النقطة الدقيقة الموجودة في هاتين الجملتين من التشهّد: هي التذكير بالتوحيد والنبوّة ضمن شهادة يؤدّيها المصلّي، حيث يشهد بوحدانيّة الله وعبوديّته وبرسالة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

هذه الشهادة في الحقيقة عبارة عن قبوله بجميع الالتزامات المترتّبة على هاتين العقيدتين، وكأنّما المصلّي، بهذه الشهادة، يريد أن يقول: إنّي آخذ على عهدتي [ألتزم] جميع التكاليف التي تنشأ من هاتين العقيدتين (التوحيد والنبوّة). إنّ المعرفة الجافّة والفارغة، والمعرفة التي لا تستتبع التزاماً، والاعتقاد الذي لا يتجلّى في العمل، لا قيمةَ له في الإسلام. إنّ الشهادة والتصديق بحقيقةٍ هما بمنزلة الوقوف عليها وقبول جميع الواجبات والأعمال الناتجة من العلم بها. أي القبول الناشئ من اعتقادٍ خالصٍ وإيمانٍ فعّالٍ

وإيجابيّ ومتوقّد. إذاً، تشهّدُ الصلاة هو في الحقيقة تجديدُ بيعة يؤدّيها المصلّي مع اللّه ورسوله.

الجملة الثانية من التشهّد هي طلب ودعاء: اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد. إنّ محمداً وآله الطاهرين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) هم العلامات الواضحة والبراهين التامّة لهذه العقيدة، وإنّ المصلّي يحيي، بلسان الدعاء وبالصلاة عليهم، ذكر هذه العلامات والبراهين، وبالسلام عليهم يُعزّز ارتباطه الروحي بهم.

إنّ أَتْبَاعَ أيّة رسالة، إن لم يجعلوا نُصب أعينهم البيّنات والعلامات العينيّة [الحسّيّة] لرسالتهم، فمن الممكن جدّاً أن يسلكوا سبيلاً آخر ويضلّوا. وإنّ تبيين وإظهار هذه العلامات العينيّة هو الذي ضمِن صمود رسالات الأنبياء على مرّ الزمان.

يذكر التاريخ الكثير من العلماء والمفكّرين الذين رسموا خططاً وبرامج لتوفير حياةٍ للإنسان ملؤها الهناءة والسعادة، وطرحوا المدن الفاضلة ودوّنوا كتباً وخلّفوا وراءهم آثاراً. ولكنّ الأنبياء طرحوا مشروعهم بنحوٍ عمليّ، عوضاً من الدخول في بحوث وجدالات فلسفيّة، وصنعوا، من أنفسهم ومن أتباعهم الأوائل، أفراداً من الطراز الجديد ونماذجَ متألّقة، وبنوا على عواتقهم أركان نظامهم المنشود.

ولهذا، بقي مذهب الأنبياء حيّاً ولم يبق لمخطّطات الفلاسفة والمفكّرين سوى الحبرِ على الورق.

يدعو المصلّي من أعماق قلبه لمحمّدٍ وآل محمّدٍ ﷺ، الذين هم عصارة تجلّيات الرسالة وظهورها. ويسلّم عليهم، فقد عاشوا عمراً بطور هذه الرسالة وقدّموا للتاريخ إنسان زين الإسلام وأنموذجه، ويسأل الله تعالى أن يصلّي ويسبغ رحمته عليهم، وأن يثبّت ارتباطه الروحيّ بهم ويجعله أكثر عمقاً واستحكاماً، فبإمكانهم جذبه بقوّة الى طريقهم وإلى الهدف الذي يسعون إليه.

إنّ «الصلاةَ على محمّدٍ وآل محمّدٍ» مجسِّدةٌ لوجه صفوة الأفراد ونخبتهم في الإسلام. وبإظهار هذه الوجوه، وتصويرها، باستطاعة المسلمين دوماً أن يتعرّفوا على الطريق الذي ينبغي عليهم أن يطووه ويستعدّوا للمسير فيه.

سلام الصلاة

سلام الصلاة فيه ثلاث تحيّات. ويكون أيضاً مع ذكر الله وذكر اسمه. فالصلاة تبدأ بإسم الله وتختتم بإسمه. وبين تلك البداية وهذه النهاية طريقٌ حافلٌ بذكر الله واسمه؛ فإذا ذُكر النبيّ أو آله في جملة، سيكون أيضاً مصحوباً بذكر الله، بصورة طلب العون من لطفه ورحمته.

الجملة الأولى، تحيّة من المصلّي للرسول ﷺ وطلب الرحمة من الله لذلك العبد المجتبى: السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته.

الرسول ﷺ هو مشيّد بنيان الإسلام، أي سلسلة الحركات والمساعي المجلجلة التي يرى المصلّي نفسه مشغولاً فيها الآن، هو الذي أعلى نداء التوحيد الذي هزّ بصداه العالم، وأرسى جذور حياةٍ أفضلَ للإنسان على مدى الزمان. هو الذي رسم الخطوط العريضة لصورة الإنسان الإسلاميّ النموذجيّ، والمجتمع الذي بإمكانه أن يصبح دارَ تربيةٍ وحاضناً لهذا الإنسان. وإنّ المصلّي يعكس هذا الشعار في حياته وفضاءِ زمانه، من خلال صلاته والدروس والإرشادات المطويَّة فيها، ويتقدّم ويخطو نحو ذلك المجتمع الأفضل ونحو تكوين ذلك الإنسان النموذجيّ. فليس اعتباطاً ذكر رسوله ومقتداه الذي جعله مرشده في هذا الطريق بتحيّة وسلام في نهاية الصلاة، ويعلن بهذا اللّسان عن حضوره إلى جانبه وفي طريقه.

في الجملة الثانية، يسلّم المصلّي على نفسه وعلى جميع رفاقه (السالكين مسلكه) وعلى جميع عباد الله الصالحين: **«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»**، وبذلك، يوقظ ذكر عباد الله الصالحين في ذهنه، ويجعل وجودهم وحضورهم منبت الأمل والاطمئنان في نفسه.

في دنيا انتشرت فيها مظاهر الذنوب والمعاصي: القبائح والدناءة والعداوة والظلم والقذارة والرجس، وأحاطت بكلّ شخص؛ وفي محيطٍ، كلُّ شيءٍ فيه ينبئ الإنسانَ العاقل والمتفطّن بإفلاس

البشريّة وانهيارها، وتَظْهر زينتها وزبرجها أمام عينيه بألوانٍ وصورٍ برّاقةٍ مصطنعةٍ على مظاهر الابتذال والسفالة والسُّحت؛ أجل في العالم الذي لا يتمكّن فيه طلّاب الحقّ والعدالة أن يتستّروا على فضائح الأنانيّات وحبّ الجاه والمنصب، وحيث لا يمكن التعتيم على مكانة الحسين وعليّ والصادق عليهم السلام بالصخب المراوغ لأمثال معاوية ويزيد والمنصور؛ باختصار، في العصر الذي يستولي فيه أعوان الشيطان على مناصب رجال الله الصالحين، هل يمكن توقُّع الخير والصلاح منهم، والنظر إليهم بعين الواقعيّة؟ أفهل يمكننا أن نتوقّع شيئاً غير المعاصي والآثام والضلال وإماتة الحقّ بين البشر؟ علينا أن نعترف بأنّه لو أمكن ذلك، فإنّه لا يمكن بسهولة.

يأتي «**السلام على عباد الله الصالحين**»، في هكذا حال، ليمدّ القلوب الحزينة المضطربة، وكأنّه ملاكٌ يبثُّ في قلب الظلمات نبأ حضور النور والضياء، ويبشّر المصلّي بوجود الأنصار والأصحاب. يقول له: «**لستَ وحيداً**»، إذ يمكن في قلب هذه الصحراء القاحلة العثور على براعم مثمرة ومتأصّلة، مثلما أنّه في أطوار التاريخ قد خرج من رحم التجمّعات [المجتمعات] الضّالّة والفاسدة إراداتٌ قويّةٌ ورجال عظماء بارزون، أضحوا في النهاية بناةَ العالمِ الجديد وواضعي الأساس الطيّب لحياة جديدة. وكذلك، فإنّ قوى النور والخير نفسها، وطبقاً لسنّة الله في التاريخ، هي في قلب هذا العالم المظلم والفاسد، في حالة سعي وجدّ دائب. أجل، فالصالحون

يعبدون الله بما يليق بعظمته ويطيعون أوامره، ويقفون مصطفّين في مواجهة الطغاة.

من هم هؤلاء العباد الصالحون؟ وأين هم؟ ألا يجب التعلّم منهم والسير معهم؟ فعندما يجعل المصلّي نفسه إلى جانب الصالحين، ويُسلّم عليهم وعلى نفسه في جملة واحدة (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) يسطَعُ على قلبه نورٌ من العزّة والافتخار والاطمئنان، ويسعى لأن يكون حقّاً في عدادهم وإلى جانبهم، ويشعر بالخجل، إنْ لم يتمكّن من اقتفاء أثرهم، وهذا يضفي عليه التزاماً وتكليفاً جديداً.

كيف هم العباد الصالحون؟ وبمَ صلاحهم؟ فالصلاح ليس فقط في أداء الصلاة، الصالح هو الذي يلتزم بالتكاليف الإلهيّة الثقيلة ويعمل بنحوٍ يليق به إطلاق اسم (عبد الله) عليه، تماماً كالتلميذ اللّائق في صفٍّ دراسيّ. وفي الختام، يقول المصلّي في الجملة الثالثة مخاطباً هؤلاء العباد الصالحين، أو مخاطباً الملائكة[1]، أو مخاطباً المصلّين: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»، وبذلك، يستذكر مرّة أخرى الصلاح والاستحقاق (للصفات الملائكيّة أو الاتصال بباقي المصلّين)، فيذكر المخاطبين الأعزاء بدعاء الخير وينهي صلاته. والحمد لله ربّ العالمين.

(١) – وكأنه بعنوان درس لتحصيل صفات الملائكة.

ملحق

وصايا من أريج الصلاة

عمود الدين

إنّ أسمى هدفٍ يطمح إليه النظام الإسلاميّ هو تربية الناس العظماء ذوي الفضل، وبناء الفرد والمجتمع على صعيدي الجسم والروح، وفي كلا الجانبين الماديّ والمعنويّ، وبسط جناحي تسامي الإنسان وتكامله.

ومن هنا، تكتسب العبادات، وعلى رأسها «**الصلاة**»، هذا القدر من الأهمّية، وتُسمّى (الصلاة) عمود الدين. فالصلاة حينما تؤدّى بانتباهٍ وبحضورِ قلبٍ لا يقتصر تأثيرها على ما تغرسه في قلب المصلّي وروحه، وإنّما يتّسع مداها ليملأ الأجواء المحيطة به نوراً وشذًى يسري أريجه إلى رحاب البيت والأسرة، وإلى محلّ العمل ومجلس الأصدقاء، وإلى كلّ ربوع مدينته، بل، وكلّ آفاق الحياة.

كلّما ازداد المصلّي ذكراً وخشوعاً، تتبدّد من حوله ظلمات الأنانيّة والأحقاد، والاستبداد، ويضمحلّ الشحّ والبخل، ويرتفع العدوان والحسد، ويسطع نور الفلاح على جبين الحياة.

كلّ الوقائع المريرة في حياة الإنسان تعود جذورها إلى الغفلة عن ذكر الله والانغلاق في حدود المصالح الذاتيّة. والصلاة

تطلق الإنسان من أسوار هذه الظلمات، وتحرّره من أغلال الشهوة والغضب، وتسمو به نحو الحقيقة المتعالية والخير الأشمل[١].

أعظم الفرائض

إنّ الصلاة في مضمار البحث الدائم [الأبديّ] والذي لا مفرّ منه والمأمور به الإنسان بل المجبول عليه هي أعظم الفرائض وأكثرها تأثيراً، ولعلّ البعض عرّف هذه الخصوصيّة فقط في ميدان السعي الفرديّ نحو الكمال، ولم يسمع بدورها في ميدان الجهاد الجمعيّ والاجتماعيّ في مواجهة القوى الدنيويّة المناهضة. لذا، ينبغي أن نعرف أنّ المروءة والثبات، في المواجهات المختلفة، مرتبطان بكون القلوب والإرادات مليئة بالصفاء والتوكّل والثقة بالنفس والأمل بحسن العاقبة[٢].

مظهر العبادة الكامل

الحمد لله الذي جعل الأفئدة النيّرة الطاهرة ترنو إلى الصلاة وإلى إشاعتها وإقامتها، وبثّ فيها لهفة المجاهدة والسعي الحثيث في هذا السبيل.

لقد تلخّصت ثمرة مساعيكم الحكيمة خلال هذه السنوات بأن أصبح للصلاة وهي المظهر الكامل للعبادة والمناجاة والدعاء

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر الثامن للصلاة ١٤١٩هـ.

(٢) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي الثالث للصلاة، المنعقد في مدينة بابلسر ١٤١٤هـ.

والمحبّة والإيمان بالمحبوب الفطريّ لعالم الوجود إشعاعٌ أكثر إشراقاً، وحضورٌ أكثر جلاءً في ذهن مجتمعنا الإسلاميّ وسلوكه.

والحمد لله، فقد أضحت الصلاة اليوم في الكثير من الأماكن التي يجتمع فيها الناس، ولا سيّما مراكز تجمّع الشباب كالمدارس، والجامعات، والمعسكرات، والمتنزّهات، والمؤسّسات الحكوميّة، والطرق، وغيرها، ظاهرة مشهودة وبارزة تقرّ بها العيون والأفئدة، وتعرض في وسائل الإعلام وفي الكتب والدروس والبرامج الفنيّة والإعلاميّة الكثير من الكتابات والكلمات بشأن الصلاة، ممّا يجعل أذهان الكثير من الناس وقلوبهم تهفو إلى هذا التكليف العذب اللطيف، ويحدوها الشوق إلى إقامتها.

لا ينبغي الشكّ في أنّ هذا هو طريق النجاح والتوفيق في جميع المهامّ الفرديّة والاجتماعيّة، وهو الطريق نحو السعادة والفلاح ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1].

ما أكثر الأفراد والجماعات الذين بلغوا قمم التسامي والكمال بمعرفتهم لأهميّة ومكانة الذكر والخشوع والإنابة، التي تعدّ الصلاة مظهرها الكامل، وإرفاقها بالعمل والإبداع الدنيويّ؛ وما أكثر السذج وقصيري النظر الذين حرموا أنفسهم من السعادة الكاملة بالغفلة عن هذا السرّ العظيم في الوجود، سواء من خلال الانغماس في العمل الماديّ أو في أوقات الفراغ والكسل، وأينما حلّوا هووا

(١) المؤمنون، ١و٢.

بأنفسهم في مستنقع الحرمان والإخفاق بشكل أو بآخر.

فالناس الذين جعلوا مساعيهم وجهودهم في ميدان الحياة الإنسانيّة مشفوعة بذكر الله، والأنس به، وعشقه، يدركون المعنى الحقيقيّ للسعادة، وتنالها أجسادهم وأرواحهم.

أنتم أيّها الإخوة والأخوات، الذين عقدتم العزم على الاهتمام بأمر الصلاة، إنّما تؤدّون في هذا الطريق أكبر خدمة لشعبكم وبلدكم، ولا شكّ أنّ شعبنا سيجني من خلال معرفته للصلاة والعمل بها فوائدَ كبرى في جميع مجالات حياته.

لقد قدّم لي المسؤولون المحترمون عن إقامة الصلاة تقريراً يبعث على الأمل بشأن تنفيذ الوصايا السابقة بخصوص الصلاة. وإنّني أُقدِّم الشكر لكم ولجميع القطاعات التي أنزلت تلك الوصايا إلى حيّز التنفيذ[1].

صلاةٌ بلا حضورِ بدنٌ بلا روح

فصلاة بلا ذكر ولا حضور، هي بدن بلا روح، وإن كان إطلاق لفظ الصلاة عليها ليس على سبيل المجاز؛ إلّا أنّه لا يترتّب عليه أثر الصلاة وخاصيّتها.

وقد ورد في الآثار الدينية حديثٌ عن هذه الحقيقة بعنوان «**قبول الصلاة**» وهكذا، ورد أنّه «**ليس لك من صلاتك إلّا ما أقبلت عليه**».

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي لإقامة الصلاة، المنعقد في مدينة زنجان ١٤١٧هـ.

إنّ هذه الصلاة موهبةٌ ليس لها بديل ومنبع فيض لا يزول، حيث نصنع بها الإنسان الصالح من أنفسنا أوّلاً ومن نحبّ ثانياً، وهي بوابة مفتوحة إلى ساحة واسعة يسودها الصفاء، وإنّها لحسرة أن يقضي الإنسان عمره بجوار هذه الجنّة ولا يزورها ولا يدعو أحبّاءه إليها، فقد أبلغ الوحي النبيّ العظيم ﷺ **«وأمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها»**. واليوم، اعتبروا هذا الخطاب موجّهاً إليكم، واعرفوا قدر الصلاة، وهذه الحقيقة المقدّسة والدرّ الساطع التي هي هبة إلهيّة لأمّة محمّد ﷺ. ولكلّ منكم سهمه الخاصّ إزاء هذه الوظيفة[1]:

الصلاة جنّة

الصلاة الزاخرة بالخشوع وحضور القلب أوّل ما تخلق في قلب المصلّي جنّة حقيقيّة يسري مداها تدريجيّاً إلى أجواء الحياة، وتهب المرء الصلاح والفلاح. وانطلاقا من هذه الرؤية، أضحت الصلاة في كلّ الأديان الإلهيّة من أكثر آداب التديّن أصالة، ومن أبرز علامات الإيمان وأوضحها وأشملها، والصلاة الإسلاميّة هي أكمل الصلوات وأجملها.

إحدى بركات الثورة الإسلاميّة في السنوات الأخيرة، أنها أيقظت الأفئدة الطافحة بالشوق والاندفاع إلى أهميّة فريضة الصلاة وعلوّ منزلتها، وركّزت جهودها اليوميّة الحثيثة على إشاعة هذا الركن.

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي الثالث للصلاة ١٤١٤هـ.

وفي الوقت الحاضر، تُبذل في كلّ سنة جهود صادقة لفتح الطريق النيّر للصلاة أمام الجميع، من أجل أن يحظى المصلّون بنصيبٍ وافرٍ لإقامة صلاةٍ مليئة بالذكر والانتباه.

وتحتلّ أنواع النشاطات الثقافيّة والفنيّة والتحقيقيّة والتنفيذيّة موقعها في السرد الطويل لهذه الجهود. وأرى لزاماً عليَّ أن أتقدّم بالشكر لكلّ هؤلاء العاملين المؤمنين، بمن فيهم المسؤولون الحكوميّون الكبار، وعلماء الدين الموقَّرون، والشخصيّات العلميّة والثقافيّة والفنيّة، والشباب الغيارى، والنساء والرجال المؤمنون، وشتّى القطاعات الاجتماعيّة، وأخصّ بالذكر العالم الواعي المخلص سماحة حجة الإسلام قراءتي الذي جنّد لهذه المهمة طاقات هائلة[1].

نبع فوّار

إنّ الصلاةَ تمثّل النبعَ الفوّار الذي يفيض بكلّ هذه وغيرها من الفيوضات الكثيرة على قلب المصلّي وروحه وتصنع منه إنساناً نقيّاً، ثابت القدم، راجياً، صاحبَ يقين.

وما جاء في القرآن بأنّ «**الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**»[2] وَوُصِفَتْ على لسان النبيّ الخاتم ﷺ بأنّها «**معراج المؤمن وقربان**

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي الثامن للصلاة ١٤١٩هـ.
(٢) العنكبوت ٤٥.

كلّ تقيّ»[1]، وفي كلمة واحدة، **«أنّها عمود الدين»**، ووصفها الرسول بأنّها **«قرّة عيني»**، يجب أن يحثّنا على التأمّل والتعمّق أكثر في فهم عظمة الصلاة.

طبعاً، يجدر بنا أنّ نعلم أنّ الصلاة لا تعني التفوّه ببعض الكلمات وأداء بعض الحركات، فلا تترتّب كلّ هذه الفيوضات والبركات على إيجاد أمواج صوتية وأعمال بدنيّة دون أن تبعث في هذا البدن روح الذكر والتوجّه؛ وإن كانت - على الأقل - مسقطة للتكليف الشرعيّ. فروح الصلاة هي ذكر الله والخشوع والحضور أمامه، وهذه الكلمات والأفعال التي فرضت على المكلّف بالتعليم الإلهيّ، هي أفضل قالب لتلك الروح، وأقرب الطرق لذلك المنزل المقصود[2].

مبعث المعنويّات في زمن الآلة

الصلاة هي التي تبثّ في روح الإنسان دواعي الإيثار والصفح والتوكّل والتعبّد، باعتبارها السند الحتميّ للواجبات الخطيرة والمهامّ الخطيرة والصعبة، كالجهاد والنهي عن المنكر والزكاة، وتدفعه لتقحّم تلك الميادين بكلّ بسالة.

عندما يقع هجوم من الأعداء تبرز أهميّة فريضة الجهاد، أو حينما تواجه بعض الشرائح الاجتماعية ضغوطاً في المعيشة تصبح فريضة الزكاة والإنفاق شاملة للجميع، أو بمقتضى

(١) الكافي ج٣، ص٢٦٥.

(٢) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي الثالث للصلاة ١٤١٤هـ.

محاولات الأعداء ومساعيهم في ميادين الثقافة والأخلاق تتّخذ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صيغة شموليّة، في كلّ هذه الظروف ليس فقط أنّ الصلاة لا يقلّ شأنها عن كونها (خير العمل) ولا تهبط من هذه المرتبة بل تزداد أهمّيّةً، لما تضفيه من دعم روحيّ ومعنويّ لجميع ألوان الجهاد والإيثار وتقحّم المخاطر.

واليوم، ومع هيمنة النظم الآليّة [الحياة الآليّة] على المجتمعات البشريّة كافّة، يرزح الإنسان والإنسانيّة تحت وطأتها. حتّى أصبح كلّ واحدٍ من بني الإنسان يرى نفسه مرغماً على برمجة نمط حياته الفرديّة والاجتماعيّة مع الإيقاع الثقيل والمملّ للماكينة والحياة الآليّة. ومن الطبيعيّ أنّ سجايا الرأفة والمروءة والصفح والإيثار والكثير من القيم الأخلاقيّة الأخرى تصبح ضعيفة التأثير في خضمّ صَخَبِ هذا الإيقاع وتغدو باهتةً لا روح فيها. وفي ظلّ مثل هذه الأوضاع، تُهدم الأسرة وتُسحق أخلاق الحياة الأسرية الممزوجة بعلاقات الإلفة والمحبّة فيها. وقبل عشرات السنين، استشعر معالم هذا الخطر وحذَّر منه، الحريصون وذوو النظرة الثاقبة حتى في قلب الحضارة الصناعيّة والآليّة، ولكن ممّا يؤسف له، أنّ ملايين الناس، وخاصّة الشباب أصحاب المشاعر الرقيقة والروحيّة الأكثر عرضة للضرر، لا زالوا في هذا البلاء الكبير مجرّدين من أي وسيلة للدفاع والعلاج.

وإنّ الحاجة إلى الارتباط المعنويّ بالربّ الرحيم والكريم، بالنسبة إلى جميع بني الإنسان من هذه الجهة، لهي اليوم، أكثر أهميّة وجدّية من أي وقت مضى؛ وتبرز الصلاة هنا كأفضل أداة وأجداها لتأمين هذه الحاجة. البشريّة اليوم أكثر حاجةً من أي وقتٍ مضى إلى الصلاة الخالصة والكاملة[١].

باب التوفيق

يجب فهم أهميّة الصلاة بشكل صحيح. حين يتفضّل المعصوم بالقول: إنّ الصلاة لله، إذا قُبِلت قُبِل ما سواها من الخدمات والجهود، وإذا ردّت ردّ ما سواها، فهذا كلامٌ يعرض أمامنا حقيقة كبيرة. وتلك الحقيقة هي أنّ الصلاة إذا وضعت في موضعها المناسب في المجتمع الإسلاميّ فسوف تفتح كلّ الجهود المادّية والمعنوية البنّاءة طريقها نحو الأهداف والمبادئ، وتوصل المجتمع إلى المحطة المثاليّة المطلوبة في الإسلام. وإذا كانت هناك غفلة عن أهمّيّة الصلاة، وجرى عدم الاكتراث لها فسوف لن يطوى هذا الطريق بشكل صحيح، ولن تترك الجهود والمساعي تأثيرها اللّازم في الإيصال إلى القمّة التي رسمها الإسلام للمجتمع الإنسانيّ[٢].

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي السابع للصلاة ١٤١٨هـ.

(٢) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي الحادي والعشرين للصلاة ١٤٣٤هـ.

نافذة نسيم الحرية

إنّ الصلاة حاجة مُلحّة للإنسان، وذلك لأنّنا، بسبب قيودنا الماديّة ، بحاجة إلى منفذ لاستنشاق نسيم الحريّة الذي يهب من العوالم المعنويّة وتطهير قلوبنا من الدنس والغفلة . إنّ جوهر الطينة البشريّة سيفقد بريقه بدون هذه النافذة التي تضيء وتنعش .

إذا عرفنا كُنه الصلاة وحقيقتها كما هي، فإنّنا سنشكر الباري تعالى آلاف المرّات على هذه النعمة العظيمة التي أتحفنا بها أنبياؤه [1].

إقامة الصلاة من أوجب الفرائض

إنّ إقامة الصلاة من أوجب الفرائض في بلدٍ رفع راية الإسلام خفّاقة ويفخر بحكومة الإسلام، لأنّ كلّ أهداف المجتمع السعيد من قبيل: تحقيق العدالة الاجتماعيّة، وبلوغ الرفاهيّة العامّة والازدهار الماديّ، وتنميّة القابليات والإبداعات لدى أفراد الشعب، والتمتّع بالعلم والمعرفة والخبرة، والعزّة والاستقلال والاقتدار الوطنيّ، وإشاعة الأخلاق الإنسانيّة والعلاقات السليمة بين أفراد الشعب، وسائر الأهداف السامية، إنّما تتحقّق في ظلّ التربية الذاتيّة والتهذيب الأخلاقيّ لدى أفراد الشعب ولا سيّما المسؤولين عن

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي السادس عشر للصلاة ١٤٢٨هـ.

شؤون البلاد. ومع وجود أُناس أطهار في ذلك المجتمع يتمتّعون بالعزيمة والتوّكل والإخلاص والصبر والسعي الحثيث، فإنّهم سيتمكنون، وبمعونة هذا الرصيد الروحيّ، من تحمّل الأعباء الثقيلة والوقوف بوجه العقبات المختلفة ولا سيّما أمواج الفساد والدمار. وكلّما ازداد عدد هؤلاء في مجتمعٍ ما وبلدٍ معيّن، أصبحت آفاق مستقبل ذلك المجتمع وذلك البلد أكثر جلاءً ووضوحاً، والسير نحو السعادة فيهما أكثر سهولة وإمكانيّة.

وممّا ذكرنا، تتّضح أهمّيّة الصلاة وأحد أسرار التركيز عليها [والدعوة إليها] في التعاليم الإسلاميّة، لأنّ الصلاة أفضل وسيلة لبلوغ أفراد المجتمع المسلم التهذيب الأخلاقيّ والسموّ الروحيّ والمعنويّ[1].

البعد الاجتماعيّ في الصلاة

من جملة المهامّ الخطيرة التي تقع على عاتق المؤمنين وخيرة عباد الله، مع استقرار الحاكمية الإلهيّة في أيّة بقعة من بقاع الأرض، هي إقامة الصلاة التي منحها القرآن شأناً خاصّاً، وجعل لها مكان الصدارة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾[2] ولو لم يكن لإقامة الصلاة أهمّية أساسيّة، ولو لم

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي الخامس لإقامة الصلاة، المنعقد في مدينة تبريز ١٤١٦هـ.

(٢) سورة الحج، ٤١.

يُنظر إليها كعمودٍ راسخٍ من أجل تحقيق الأهداف الكبرى للنظام الإسلاميّ، لما كانت قد حظيت بكلّ هذا التأكيد.

والحقيقة أنّ الصلاة بما لها من دورٍ تربويٍّ جسيم وتأثيرٍ عميقٍ في تحقيق الطمأنينة والسكينة في قلوب المؤمنين، وبثّ روح التوكّل والتقوى والإخلاص في قلب المصلّي، وإشاعة جوٍّ زاخرٍ بالنفحات القدسية والمعنوية من حوله، بما يؤدي إلى تنزيهه والآخرين عن ارتكاب المعاصي، إضافة إلى ما تنطوي عليه ألفاظها وأذكارها من معانٍ ودروسٍ في المعرفة، فهي أكبر من مجرّد فريضةٍ فرديّة، بل لها دورٌ حاسمٌ في إدارة شؤون الفرد والمجتمع.

وإنّ التوصيات البليغة التي وردت بشأن أداء هذه الفريضة، والمهمّة التي أُلقيت على عاتق الأبوين في تعويد أولادهما منذ الصغر على الأنس بها، أعطتها صفة لا تضاهيها فيها جميع الفرائض الأخرى. ويعود السبب في هذا إلى الدور الاستثنائيّ للصلاة في تنظيم الحوافز الروحيّة لدى الإنسان، وتمهيد الأجواء الإيجابيّة التي تمكّنه من تحمّل الأعباء الثقيلة لواجباته في المجتمع.

وبالالتفات إلى كلّ هذه الجهات، ينبغي حقّاً اعتبار الصلاة كأفضل الأعمال. وشعار «**حيّ على خير العمل**» الوارد في نداء الصلاة يُعتبر بحقّ كلاماً فيّاضاً بالحكمة[1].

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السابع للصلاة، ١٤١٨هـ.

ثلاث خصائص

في الصلاة ثلاثُ خصائصَ رئيسة لها الدور الأساس في تهذيب النفس وتربية الروح:

الأولى: أنّ الصلاة بهيئتها المحدّدة في الإسلام، أي الحركات والأذكار المخصوصة، تدعو المصلّي، بشكل طبيعيّ، إلى الابتعاد عن الذنب والرذيلة ﴿**إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾[1]، هذه الدعوة المستمرّة لها القدرة على إنقاذ أي فردٍ من قاع المستنقعات وأن تعرج به.

الثانية: الصلاة تحيي في المصلّي روح العبوديّة والخضوع أمام ساحة الباري تعالى، فهو المحبوب الحقيقيّ والفطريّ لكلّ إنسان، وتزيل غبار النسيان عن هذه الحقيقة الساطعة المودعة في أعماق فطرته.

الثالثة: تزرع في قلب المصلّي وروحه تلك السكينة وذلك الاطمئنان الذي يُعتبر الشرط الأساس للنجاح في جميع ميادين الحياة، وتبعد عنه التزلزل والاضطراب الذي يعدّ مانعاً كبيراً في طريق العمل الجادّ من أجل التربيّة الأخلاقيّة.

وكلّ واحدة من هذه الخصائص الثلاث جديرة بالتدّبر والإمعان، ليتضّح من خلالها الكثير من معارف الصلاة.

---

(١) العنكبوت،٤٥.

والآن عندما نرى الصلاة بهذه الخصائص وبتأثيرها الاستثنائيّ، وسعة دائرتها حيث تشمل كلّ المجتمع الإسلاميّ ، أي أنه ينبغي على الجميع أداء الصلاة تحت أي ظرف وفي أي مكان كانوا، ولا يستثنى أحدٌ من دائرة هذه الفريضة الإلهيّة أبداً، فحينها ندرك مدى تأثيرها البالغ في تحقيق السعادة لشعبٍ ولمجتمعٍ ما.

والحقيقة، أنّه متى ما شاعت الصلاة بكلّ شروطها في مجتمع من المجتمعات، فإنّ هذا الواجب الإلهيّ بعينه سيأخذهم تدريجيّاً نحو كلّ أشكال السعادة وإقامة صرح الدين في حياتهم.

ولا يفوتنا القول، إنّ كلّ هذا يتعلّق بتلك الصلاة التي تُقام بروحها، أي مع التوجّه وحضور القلب. فمثل هذه الصلاة تجعل المصلّي متناغماً ومنسجماً مع عالم الخلق كلّه، وتفتح السبيل أمام تطبيق السنن الإلهيّة في الطبيعة والتأريخ، لأنّ عالم الخلق كلّه، وفق الرؤية الإسلاميّة، في حالة تسبيح وعبوديّةٍ للحقّ تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[1] [2].

(١) الجمعة، ١.

(٢) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي الخامس لإقامة الصلاة، المنعقد في مدينة تبريز ١٤١٦هـ.

٢- أوصيكم

وصيَّتي للجميع «أقيموا الصلاة»

١. ينبغي للآباء والأمّهات تحفيز الأبناء وإرشادهم إلى الصلاة بالقول والعمل.

٢. وعلى المعلّمين إرشاد طلّاب المدارس والجامعات نحو هذه الحقيقة الساطعة.

٣. فليغتنم الفضلاء والعلماء المحترمون فرصة وجود إمام الجماعة في المراكز التعليمية والأقسام الداخليّة للطلبة ولهذا الجيل الجديد.

٤. وعلى مؤلّفي الكتب الدراسيّة إدراج أسرار الصلاة ودروسها في الكتب الدراسيّة.

٥. وعلى وزارة الإرشاد ومنظمة الإعلام والإذاعة والتلفزيون استغلال الفنّ خصوصاً فنّ السينما، لبيان هذا الدرّ (الصلاة) وإظهار صورة المصلّي.

٦. وعلى الفنّانين الأعّزاء أن يُعمِلوا يدَ الفنّ القديرة التي

بحوزتهم في هذا الأمر الجدير، وذلك بلسان الشعر والقصّة والرسم وما شابه، وبإبداعهم للآثار الفنية النوعيّة بل الممتازة.

٧. وعلى المعلّمين والمدراء في المدارس، وعلى المسؤولين في مختلف المراكز، أن يشجّعوا المصلّين من خلال حضورهم هم في صفوف الصلاة.

٨. وينبغي، خلال الاجتماعات العلميّة والثقافيّة والتعليميّة والتبليغيّة، أداء الصلاة في وقتها كمصدر إلهام للصدق والهداية.

٩. وعلى الكتّاب أن يكتبوا وعلى خطباء الإسلام أن يتحدّثوا عن الصلاة، وذكر مفهومها وفلسفتها وأهدافها وآثارها وبركاتها وأحكامها.

وعلى الناس إحياء المساجد بحضورهم في صلوات الجماعة التي هي أفضل كيفيّة لأداء الصلاة.

وينبغي أن تبنى بيوت الصلاة والمساجد في كلّ الأماكن والمؤسّسات والتجمّعات العامّة، الّتي يجتمع فيها الناس عادة، كالمطارات ومحطات القطار والموانئ ومحطات سيّارات النقل العامّ والدوائر الحكوميّة والمنتزهات وأمثالها. وإضافة إلى كلّ هذا، على الناس اعتبار كلّ أرضٍ طاهرةٍ ومناسبةٍ مسجداً عند دخول الوقت والصلاة فيها.

وهذه وظيفة كلّ فردٍ وكلّ طبقات الشعب، فيجب على الجميع أن يعملوا بدورهم لتعميم هذه الفريضة الجماعيّة، وفي هذه الحالة يكون مجتمعنا الإسلاميّ، الذي استطاع إقامة الصلاة، مصداقاً للآية الكريمة ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1] وصدق الله العليّ العظيم.

أسأل الله أن يوفّق جميع المسلمين لأداء هذه الفريضة الإلهية على الوجه الصحيح. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[2]

الوصيّة الأكيدة: الأنس بالصلاة

وصيّتي الأكيدة للجميع، ولا سيّما الشباب، هي الأنس بالصلاة والالتذاذ بها، أي أن يقيموا الصلاة مع فهم لمعانيها وشعورٍ بالحضور لدى حضرة الربّ المتعال، جلّت عظمته، وأن يسهّلوا بالممارسة هذا العمل على أنفسهم، ليتمكّنوا من الإتيان بالنوافل، لا سيّما نافلتي الصبح والمغرب أيضاً. وإن كان بين الأرحام والأقرباء والأصدقاء من حرَمَ نفسه من فيض الصلاة، فليردعوه عن ارتكاب هذا الذنب الكبير والخسارة العظمى، وليكن ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. طبعاً، على الآباء والأمّهات مسؤولية أكبر تجاه أبنائهم، لا سيّما الأحداث.

---

(١) سورة الحج، ٤١.

(٢) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي الثالث للصلاة ١٤١٤هـ.

اعمروا المساجد وصلّوا الجماعات

١. فليسعَ كلّ مصلٍّ أن يؤدّي صلاته ملتفتاً إلى معاني الكلمات، أي أن يتكلّم في أثناء الصلاة، مع الإله العزيز الرحيم. فذلك هو المنبع الفيّاض الذي يروي ظمأ روح المصلّي. بيد أنّ هذا المعنى يجب أن لا يُتّخذ كذريعة لترك الصلاة بسبب عدم حصول مثل هذا التوجّه. فهي -أي الصلاة- على كلّ الأحوال واجبٌ وفريضة، وإنَّ تارك الصلاة يُضيّع أثمن فرصة للارتباط بالله جلّ وعلا.

٢. يجب على الجهات المعنيّة إعداد ترجمات للصلاة على كافة المستويات، وطبعها على أوراق، وتوزيع ملايين النسخ منها في كلّ مكان، ليتسنّى للجميع فهم معاني كلمات الصلاة.

٣. يجب أن يحلّ فصلٌ جديدٌ من فصول إقامة الصلاة في قرى البلاد، مثلما حلّ - والحمد لله - على نطاق واسع في مدن البلاد. عليكم أن تنطلقوا طبق برنامج شامل لإشاعة صورة ومعنى الصلاة في القرى.

٤. حبّذا لو يُرسَل من المدن التي يوجد فيها حوزات علميّة وطلبة علوم دينيّة، مجموعاتٍ منهم إلى القرى في ليالي الجمعات. وليكن الشعار الأوّل لهؤلاء الأشخاص الذين يبلّغون الدين والقيم المعنويّة، هو إقامة الصلاة.

٥. الأجدر بعلماء الدين والفضلاء الذين يعملون في مختلف

القطاعات الحكوميّة أن يعْمُروا المساجد التي لا تقام فيها صلاة الجماعة، وأن يعتبروا إمامة الصلاة في المسجد بمثابة واجب كبير.

٦. على المسؤولين المعنيّين في مختلف القطاعات الحكوميّة أن يتابعوا بجدّ التعليمات والأوامر التي يصدرها الوزراء المحترمون بشأن الصلاة، وعلى كلّ القطاعات، وفي جميع المستويات أن يكون لهم شرف المشاركة في هذا الجهد المقدّس والحصول على نصيب من ثوابه.

٧. ورد ذكر الصلاة في أغلب الموارد في القرآن الكريم مقروناً بذكر الزكاة. فمثل الزكاة أيضاً كمثل الصلاة، بحاجة إلى جهود لا تعرف الكلل وسعي صادق ومتواصل.

من المؤمّل أن تكون لكم، أيّها الأعزاء، مشاركة أيضاً في هذا الميدان الجديد. وعلى كلّ من يجد في نفسه القدرة على إشاعة موضوع الزكاة وتبيينه أن يبادر ويشمّر عن ساعد الهمّة، ليترك لنفسه في هذا المجال صدقة جارية[١].

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي الثامن للصلاة ١٤١٩هـ.

علّمني كيف أحبّ الصلاة

١. على العارفين والمتصدّين للمعارف الإسلاميّة بيان شأن الصلاة وجوهرها ومحتواها وتأثيرها العميق في النفس بأساليب بليغة ومعبّرة، لا سيّما المتخصّصين في حقل الفنّ، إذ يمكنهم تسخير وسيلة الفنّ المؤثّرة لإنجاز هذه الغاية.

٢. على الآباء والأمّهات تعليم هذه الفريضة لأولادهم سواء من ناحية الصورة أو المضمون- وإذا كان لا بدّ لهم من الاستعانة بالآخرين، فعليهم بقراءة الكتب الجميلة المبسّطة لأطفالهم في هذا المجال.

٣. على معلّمي المدارس المسارعة قبل الآخرين إلى الصلاة عند حلول وقتها، وحثّ الفتيان ذكوراً وإناثاً على الحضور في مصلّيات المدارس.

٤. يجب على المسؤولين التربويّين في المدارس أن يجعلوا الصلاة في مقدّمة برامجهم التربويّة.

٥. أن يجعل مسؤولو القطاع الرياضيّ في البلد جوّ الرياضة مفعماً بذكر الصلاة وإقامتها. وعند تحديد أوقات المباريات الرياضيّة، عليهم تخصيص وقت للصلاة وجعل الأجواء مهيّأة من حيث الزمان والمكان لإقامة الصلاة في وقتها.

٦. على المسؤولين عن حركة وسائل النقل، كالطائرات والقطارات وغيرها، أن يضعوا نصب أعينهم حين البرمجة

لحركة هذه الوسائل، توفير الظرف الزمانيّ والمكانيّ الذي يتيح للمسافر أداء الصلاة في وقتها.

٧. يجب على أئمّة الجماعة المحترمين أن يجعلوا المساجد نشطة وقادرة على استقطاب الناس على الدوام، وأن تتضمّن برامجهم تعليم مفهوم الصلاة وجوهرها بشكل حديث وجذّاب.

٨. على مؤلّفي كتب المعارف للمدارس الإعداديّة والجامعات أن يجعلوا الصلاة من ضمن المواضيع التي تتناولها تلك الكتب، وأن يبحثوا بنحو علميٍّ ودقيق.

٩. على الشباب الأعزّاء أن يخصّصوا دقائق من وقتهم لأداء الصلاة، ويجب أن يؤدّوها بانتباه وحضور قلب طالما لديهم الاستطاعة، ليؤمّنوا لنفوسهم وأرواحهم أساسَ حياة عامرة بالذكر والخشوع والتضرّع.

١٠. على الجميع أن يقدّموا الصلاة، التي هي الدواء الشافي للروح ومبعث الصفاء والسكينة والنورانيّة، على جميع الأعمال الأخرى، وأن لا يحرموا أنفسهم منها مهما كانت الظروف. ولا يفرّطوا، بسبب كثرة المشاغل والمشاكل، بهذا الحضور المبارك بين يدي الخالق الرحيم والكريم والعزيز[١].

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي السابع للصلاة ١٤١٨هـ.

اجعلوا المساجد كقلوب الشباب

إنّ توصيتي هي أن تجعلوا المساجد كقلوب الشباب طاهرة ومزيّنة ومليئة بالحماس والدافع والنشاط. إنّ المسجد أيضاً لا بدّ أن يكون بؤرةً تلمع فيها مشكاةُ الصلاة ويسطعُ منها نورُ المعرفة والمحبّة والأنس والصفاء.

على أئمّة الجماعة ومجالس الأمناء والخدم الموظفين والمتبرّعين أن يستشعروا وجوب القيام بجزء من هذا العمل العظيم والمؤثّر على عاتقهم[١].

يجب أن تزهر فينا الصلاة[٢]

يجب أن تُخطّط وتنفّذ جميع الجهود الثقافيّة والفنّيّة والبرمجة التعليميّة وغير ذلك، بحيث تزدهر الصلاة يوماً بعد يوم، وعلى أحسن نحو، بين الناس، وخصوصاً الشباب والأحداث، وينهل الجميع نهلاً حقيقيّاً من ينبوع الطهر والأنوار هذا. ولا شكّ أنّ الأجهزة المتعدّدة المسؤولة عن الشؤون الثقافيّة والتعليميّة والإذاعة والتلفزيون، والقائمين على إدارة المساجد، يجب أن يشعروا بالمسؤولية أكثر من الآخرين.

---

(١) رسالة المؤتمر الـ ١٦ للصلاة (٢٣ شعبان ١٤٢٨هـ).

(٢) رسالة المؤتمر الـ ٢١ للصلاة (٢١-محرّم-١٤٣٤هـ).

أبلغ من كلّ قرار

أنتم، أيّها القائمون على هذا الملتقى ، الذين لا تخفى جهودكم على أحد، ركّزوا جهودكم على التعريف بالصلاة بشكلٍ صحيح، فإنّ هذا الأمر أفضل من كلّ بلاغٍ أو أمر أو مرسوم .

إنّ القلوب جُبلت على البحث عن المعنويّة ، عليكم الإرشاد إلى هذا الصراط المستقيم وإلى هذا الدواء الناجع وهذه النافذة المفرحة.

هذا هو الذي يجعل الصلاة عامّةً، ويمزجها بالمعنوية والشغف والعشق، ويكشف للعيان حقيقة المقولة التي تقول «**الصلاة معراج المؤمن**» ، و«**الصلاة خير موضوع، من شاء استقلّ ومن شاء استكثر**». إنّنا، ومن أجل تحقيق هذا التطلّع العظيم ، علينا المزج بين الفكر والفنّ والمحفّزات[1] .

وصايا الصلاة

أوصي جميع المتصدّين لهذه المهمّة وسائر المدراء المسؤولين في البلاد بما يأتي:

١. السعي الدؤوب والجهد العامّ المتواصل من أجل تبيان عمق الصلاة وكشف أسرارها وجمالها، وإدخال الأقوال البديعة الثرّة ذات المغزى والمضامين الجديدة في هذا المضمار

(١) رسالة المؤتمر الـ ١٦ للصلاة (٢٣-شعبان-١٤٢٨هـ).

في كتب المعارف في الجامعات، والكتب الدراسيّة لمراحل ما قبل الجامعة والكرّاسات الصغيرة المبسّطة.

٢. نشر الأحكام الفقهيّة للصلاة بشكل سهل وميسّر، وإعداد الكرّاسات والأشرطة الصوتيّة والمرئيّة المناسبة لوضعها في متناول الشعوب الأخرى.

٣. بثّ الأذان المنبعث من الحناجر ذات الصوت الجميل الشجيّ في كلّ مكان، وأن لا يبقى حيّ أو مدينة محرومة من سماع نغمة الأذان.

٤. تنظيف المساجد بشكل مناسب، وأن تعتبر خدمة المسجد عملاً وصفة عامّة وشعبيّة.

٥. إقامة صلاة الصبح في المساجد.

٦. أن تقام صلاة الجمعة، في أي مدينة بمشاركة العقلاء وأهل المعرفة في لجان «**إقامة صلاة**»، لهي أكثر فائدة وثماراً.

٧. أن يتصدّى مدراء الأجهزة الإداريّة والحكوميّة بأنفسهم لإقامة الصلاة في دوائرهم.

٨. أن يأخذ تعليم الصلاة في المعسكرات، والعمل بها طابعاً جدّيّاً أكثر ممّا عليه حاليّاً.

٩. بناء المساجد بالقدر الكافي على الطّرق البريّة [العابرة للصّحارى]، وأن يكون هناك مسجد مفتوح ليلاً ونهاراً في المدن الواقعة على الطريق.

١٠. أن يكون المسجدَ الجامعَ أولُ بناء يُشيّد في المدن والأحياء التي تُنشأ حديثاً، ويكون المركزَ الحقيقيّ لتلك المدينة أو الحيّ.

١١. أن تقام الصّلاة عند حلول وقتها في كلّ الاجتماعات، أمّا الاجتماعات التي تتعذّر فيها إقامة الصلاة، بسبب كثرة الناس أو لأيّ سبب آخر، فلا بدّ أن ينظّم وقتها بالشكل الذي لا يتعارض مع وقت الصلاة.

١٢. وبإيجاز: اجعلوا وضع مدن البلاد وقُراها بصورةٍ يشعر كلّ من يدخلها بأجواء الإهتمام بالصلاة، وموضع إقامتها[١].

(١) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر السنوي لإقامة الصلاة، المنعقد في مدينة زنجان ١٤١٧هـ.

الفهرس

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

مقدّمة الجمعيّة ٥

مقدّمة المؤلّف ٧

الفصل الأوّل: سورة الفاتحة ١٩

الفصل الثاني: سورة التوحيد ٣٧

الفصل الثالث: التسبيحات الأربع ٤٥

الفصل الرابع: حركات الصلاة وأذكارها ٥٥

ملحق: وصايا من أريج الصلاة ٦٩

١- من أريج الصلاة ٧١

٢- أوصيكم ٨٥

الفهرس ٩٧

فهرس المواضيع

١- مقدّمة الجمعيّة ٥

٢- مقدِّمة المؤلّف ٧

٣- الفصل الأوّل: سورة الفاتحة ١٩

أ- بسم الله الرحمن الرحيم ٢١

ب- الحمد لله رب العالمين ٢١

ت- الرحمن الرحيم ٢٣

ث- ملك يوم الدين ٢٤

ج- إيّاك نعبد ٢٦

ح- وإيّاك نستعين ٢٩

خ- اهدنا الصِّراط المستقيم ٣٠

د- صراط الذين أنعمت عليهم ٣١

ذ- غير المغضوب عليهم ٣٢

ر- ولا الضالّين ٣٣

٤- الفصل الثاني: سورة التوحيد ٣٧
أ- بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ ٣٩
ب- هُوَ اللهُ أَحَدٌ ٣٩
ت- اللهُ الصَّمَدُ ٤٠
ث- لَمْ يَلِدْ ٤١
ج- وَلَمْ يُولَدْ ٤١
ح- وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ٤٢

٥- الفصل الثالث: التسبيحات الأربع ٤٥
أ- الفهم الكامل للتوحيد ٤٧
ب- سبحان الله ٤٩
ت- الحمد لله ٥٠
ث- سبحان ربِّيَ الأعلى وبحمده ٥٧
ث- لا إله إلا الله ٥١
ج- الله أكبر ٥٣

٦- الفصل الرابع: حركات الصلاة وأذكارها ٥٥
أ- الركوع ٥٧
سبحان ربِّيَ العظيم وبحمده ٥٧
ت- السجود ٥٨
سبحان ربيَ الأعلى وبحمده ٥٩

ج- التشهّد ٦٠
ح- سلام الصلاة ٦٥

٧- ملحق: ٦٩
١- وصايا من أريج الصلاة ٦٩
أ- عمود الدين ٧١
ب- أعظم الفرائض ٧٢
ت- مظهر العبادة الكامل ٧٢
ث- صلاةٌ بلا حضورٍ بدنٌ بلا روح ٧٤
ج- الصلاة جنّة ٧٥
ح- نبع فوّار ٧٦
خ- مبعث المعنويّات في زمن الآلة ٧٧
د- باب التوفيق ٧٩
ذ- نافذة نسيم الحرية ٨٠
ر- إقامة الصلاة من أوجب الفرائض ٨٠
ز- البعد الاجتماعيّ في الصلاة ٨١
س- ثلاث خصائص ٨٣
٢- أوصيكم ٨٥
أ- وصيَّتي للجميع «أقيموا الصلاة» ٨٥
ب- الوصيّة الأكيدة: الأنس بالصلاة ٨٧

ت- اعمروا المساجد وصلّوا الجماعات ٨٨
ث- علّمني كيف أحبّ الصلاة ٩٠
ج- اجعلوا المساجد كقلوب الشباب ٩٢
ح- يجب أن تزهر فينا الصلاة ٩٢
خ- الصلاة أبلغ من كلّ قرار ٩٣
د- وصايا الصلاة ٩٣

٨- الفهرس ٩٧